فوائد وهدايات ولطائف تفسيرية
في سورة القارعة المكية

Benefits, guidance, and explanatory notes in Surat Al-Qara'ah in Mecca

إعداد

د/ أحمد محمدي إبراهيم العمروسي

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

فوائد وهدايات ولطائف تفسيرية في سورة القارعة المكية

أحمد محمدي إبراهيم العمروسي.
قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر الشريف، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: ahmedmohamadyelamrosy.27@azhar.edu.eg

الملخص:
يهدف البحث إلى دراسة سورة القارعة دراسةً تفسيرية سياقية؛ بُغية الوقوف على بعض معانيها وهداياتها ولطائفها، ومعرفة العلائق بين بعض مفرداتها وتراكيبها، وإيضاح بعض الفروق بينها وبين نظائرها؛ وإظهار بعض الإشارات والفوائد التي تُيسر على العبد تدبر آيات السورة ومقاصدها. **وقد اتبعت المنهج** الاستقرائي والاستنباطي، فقمت باستقراء ألفاظ وآيات سورة القارعة في القرآن وكتب التفسير واللغة والبلاغة، وجمعت ما ورد فيها، ثم قمت بتقسيمها، واستنباط بعض أسرارها. **وقد انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها:** الكشف عما تميزت به بعض مفردات السورة كـ (القارعة، الفراش، العهن المنفوش، ما هيه...) بخصائص عدة على المستوى الصوتي، والصرفي، والدلالي، والاستعمالي، والسياقي. ومن أهم خصائص السورة: أنه لا ناسخ ولا منسوخ فيها، ولم يذكر فيها لفظ الجلالة، أو أي اسم من أسماء الله وصفاته، وقد اتفق على تسميتها بـ (سورة القارعة)، ولم يرو شيء في تسميتها من كلام الصحابة والتابعين، ولم يرد في بيان فضلها أحاديث صحيحة صريحة. وقد تحدثت بصيغتي الوعد والوعيد عن القيامة وحقيقتها، ومقدماتها، وما يقع فيها، وما تنتهي إليه؛ لعل العباد يعقلون، فيستعدوا للحياة الحقيقية. كما تضمنت مجموعة من الموضوعات البلاغية، والحديث عن الميزان وحكمته وحال الناس معه، والترسيخ لفكرة العدل والاستحقاق في الجزاء، والدعوة لإبعاد الخلق عن طريق الغواية، وسلوك طريق الهداية. كما احتوت الدراسة على بيان العلاقات بين بعض ألفاظ ومعاني وآيات سورة القارعة وبين نظائرها، مع بقاء المعنى الخاص لكل موضع، ووجود معاني دقيقة تفصل بينها، وظهر هذا عند الحديث عن حال الناس عند البعث، ووصف الجبال، والميزان، والنار. وقد استعملت لفظة "قارعة" في القرآن في ثلاثة مواضع مختلفة، فوردت مرة في سورة الرعد، ومرة في سورة الحاقة، وثلاث مرات في صدر سورة القارعة. **وقد دعا البحث إلى** الاهتمام بكتاب الله ﷻ، ففيه منهج لا بد أن يُفهم ويُتبع، ومما يساعد على ذلك العناية بدراسة السور القرآنية، واستخراج الهدايات والفوائد واللطائف القرآنية والتفسيرية، ومن أهم السور التي يمكن دراستها: سور قصار المفصل.

الكلمات المفتاحية: سورة، قارعة، تدبر، هدايات، فوائد، لطائف، إشارات، بلاغة، معاني، سياق، استقراء.

Benefits, guidance, and explanatory notes in Surat Al-Qara'ah in Mecca

Ahmed Mohammadi Ibrahim Al-Amrousi.
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Islamic Call in Tanta, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: ahmedmohamadyelamrosy.27@azhar.edu.eg

Abstract:
The research aims to study Surat Al-Qara'ah in a contextual, interpretive study. In order to understand some of its meanings, guidance, and types, and to know the relationships between some of its vocabulary and structures, and to clarify some of the differences between it and its counterparts; And show some signs and benefits that make it easier for the servant to contemplate the verses of the Surah and its objectives. I followed the inductive and deductive approach, so I extrapolated the words and verses of Surat Al-Qara'ah in the Qur'an and books of interpretation, language and rhetoric, and collected what was mentioned in them, then divided them, and deduced some of their secrets. The study concluded with a set of results, including: revealing what distinguished some of the vocabulary of the surah, such as (Al-Qara'ah, Al-Barasha, Al-Ahn Al-Manfoush, what is it...) with several characteristics at the phonetic, morphological, semantic, usage, and contextual levels. One of the most important characteristics of the surah is that there is no abrogation or abrogation in it, and the word Majesty is not mentioned in it, or any of God's names and attributes. It has been agreed upon to call it (Surat Al-Qara'ah), and nothing was narrated regarding its naming from the words of the Companions and Followers, and it was not mentioned in a statement. Its virtue is authentic and clear hadiths. I spoke in both the form of promise and threat about the Resurrection, its reality, its introduction, what will happen in it, and what it will lead to. Perhaps the servants will understand and prepare for real life. It also included a group of rhetorical topics, talking about the scale, its wisdom, and the condition of people with it, consolidating the idea of justice and deserving punishment, calling for people to be led away from the path of temptation, and following the path of guidance. The study also contained a statement of the relationships between some of the words, meanings and verses of Surat Al-Qara'ah and their counterparts, while the special meaning of each place remains, and the presence of precise meanings that separate them, and this appeared when talking about the condition of the people at the time of resurrection, and describing the mountains, the balance, and the fire. The word "Qari'ah" was used in the Qur'an in three different places: it appeared once in Surat Al-Ra'ad, once in Surat Al-Haqqa, and three times at the beginning of Surat Al-Qari'ah. The research called for attention to the Book of God, may God bless him and grant him peace, as it contains a method that must be understood and followed, and what helps in this is the attention to studying the Qur'anic surahs, and extracting the Qur'anic and exegetic guidance, benefits, and exegeses, and among the most important surahs that can be studied: Qasar al-Mufassal surahs.

Keywords: Surah, Qara'ah, Contemplation, Guidance, Benefits, Kindness, Signs, Eloquence, Meanings, Context, Extrapolation.

مقـدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة السلام على رسول الله ﷺ.

أما بعد،

فكثرة قراءة وتدبر آيات وسور القرآن الكريم طريقة مثمرة للوقوف على معاني القرآن الظاهرة والخفية وترسيخها، واستنباط بعض الفوائد واللطائف، وتقوية الإيمان واليقين، وزيادة الانفعال والتأثر الموصل إلى العمل الصالح، واستمراره والثبات عليه في طريق السير إلى الله ﷻ، وهذا ما أشارت إليه بعض آيات القرآن الكريم كقول الحق ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[١]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[٢]، ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٣]، ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٤]، وهذه الآيات مع غيرها من آيات سور القرآن الكريم تُعد حقولاً مزهرة رحبة لكل عاقل متدبر.

ولعلنا نقف في هذه الورقات البحثية مع بعض الآيات المتحدثة عن شيء من أحوال وأهوال ومشاهد يوم القيامة، وما ينتظر الناس من مصائر، في إطار سورة عظيمة تشير إلى القارعة وحقيقتها وما يقع فيها وما تنتهي إليه؛ لينتبه العبد من غفلته، ويستعد لها قبل فوات الأوان، ويجمع بين الإيمان بالله واليوم الآخر، فيصحح تصوره نحو اليوم الآخر، ويقوي صلته

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٢) سورة محمد: الآية ٢٤.

(٣) سورة ص: الآية ٢٩.

(٤) سورة الزمر: الآية ٢٣.

بربه بالحرص على الطاعات والقربات والبعد عن المعاصي والشهوات، ويعيش حياته الدنيوية بين خوف ورجاء حتى يجتازها بسلام، ويحط رحاله في دار السلام، ويحصل على الفوز والأمن والنجاة.

ومن أجل ذلك، فإن هذا البحث الموسوم بـ: فوائد وهدايات ولطائف تفسيرية في سورة القارعة المكية، محاولة بحثية لنيل شرف الوصول إلى تيسير فهم وتدبر آيات سورة القارعة، بإبراز بعض أسرارها، والمساهمة في طرح بعض دلالاتها، واستعراض بعض معانيها، مستعيناً بالله أولاً، ثم بما سطره أهل التفسير وعلوم القرآن في كتبهم وأسفارهم، ناقلاً بعضاً من أقوالهم وتأويلاتهم، والله من وراء القصد، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ترجع أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره لعدةِ أمور، من أهمّها ما يلي:

أولاً: ارتباط القرآن الكريم بأي دراسة يضفي عليها مزيداً من الفضل والأهمية، لتَميُزه بكونه مورداً خصباً للأبحاث والدراسات بغية الكشف عن مكنوناته وكوامنه.

ثانياً: تَناوُل إحدى سور القرآن بالدراسة التفسيرية والسياقية والتدبرية يكشف عن رافد هام من روافد الإعجاز القرآني، يُرجى منه تحقيق إضافة في تيسير فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه.

ثالثاً: تُعد سورة القارعة من السور المشتملة على عدة موضوعات تتعلق باليوم الآخر، كمقدماته، وتأثيره في المخلوقات، والوعد والوعيد، وأحوال الفائزين والهالكين، والحساب والميزان والجزاء والمصير.

وبالتالي، فإن دراسة سورة القارعة من منظور تفسيري تدبري يسهم في الكشف عن مجموعة من الدلالات والمعاني والهدايات واللطائف والإشارات والروابط المشتركة بين تلك المعاني، مما يساعد في تسهيل وتقريب تفسير

السورة، وفهم مقاصدها، فترجع فائدة ذلك على العبد العامل بما فيها، ويظهر أثر ذلك في تعاملاته الحياتية الدنيوية واستعداداته الأخروية.

هذه بعض الأسباب التي دعتني للبحث في هذا الموضوع القيم، والله من وراء القصد، والهادي إلى سواء السبيل.

الدراسات السابقة.

من خلال البحث في السجلات الخاصة بالرسائل والأبحاث العلمية، وعبر الشبكة العنكبوتية –الإنترنت– وفهارس وكشافات الدراسات القرآنية؛ لم أقف على دراسات سابقة جامعة مستقلة متخصصة تتعلق وتهدف لاستخراج الهدايات واللطائف المتعلقة بهذه السورة الكريمة حسب محيط الاطلاع، وإنما هي إشارات مبثوثة في التفاسير القرآنية الكثيرة، وكتب أهل اللغة والبلاغة، وكتابات بعض المهتمين بالدراسات الإسلامية، ومن ذلك:

١) أسلوب الترقي وتصعيد المعاني في سورة القارعة، للباحث: خالد محمد العثيم، بحث مقدم لمجلة العلوم العربية والإنسانية، بجامعة القصيم، عام: ٢٠١٦.

٢) سورة القارعة: دراسة لغوية، للباحث: علاء ناجي جاسم، بحث مقدم لمجلة مركز دراسات الكوفة، بجامعة الكوفة، عام: ٢٠١٦م.

٣) البناء المقطعي والتراكم الصوتي وتناسبه مع المعنى في سورة القارعة: دراسة صوتية دلالية، للباحث: عبد الحكيم عبد الخالق سيد أحمد، بحث مقدم لمجلة كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، بجامعة القصيم، عام: ٢٠١٨م.

٤) دراسة جمالية دلالية في سورة القارعة على أساس المنهج البنائي، للباحثة: فاطمة شريفي تشنيزي، بحث مقدم لمجلة كلية الآداب، بجامعة الكوفة، عام: ٢٠٢٠م.

الهدف من هذا البحث، وما يضيفه.

تهدف الدراسة لإبراز النقاط التالية:

- إظهار واستنباط بعض المعاني والهدايات القرآنية، والدلالات الإيمانية، والتفسيرات الجمالية التي اشتملت عليها السورة، وجمعها، وتحريرها، وبيان بنيتها، بطريقة سلسة، وفي صورة نقاط موجزة.
- الكشف عن فصاحة وبلاغة سورة القارعة، وموضوعها، وآياتها، وأسلوبها، ومعانيها التي تؤثر على المتلقي ووجدانه.
- استقراء آيات القرآن الكريم، وبيان الصلات والعلاقات والفروق بين سورة القارعة وبعض آياتها وألفاظها وبين غيرها من السور والآيات والألفاظ المناظرة لها.
- الوقوف على آراء وأقوال المفسرين حول السورة وآياتها، وإظهار وبيان ما فيها من دلالات ومعاني وفوائد من الناحية اللفظية والسياقية والإشارية والبلاغية.

منهج البحث

أ- **<u>منهج البحث:</u>**

تتعدد مناهج البحث وتختلف باختلاف الموضوع، ولكن طبيعة الموضوع هي التي تقرر أيّاً من تلك المناهج يصلح استخدامه في هذا الموضوع أو ذاك، ومن هذا المنطلق يسير منهج البحث والدراسة على:

١) المنهج الاستقرائي: ويتمثل في تتبع أقوال أئمة التفسير واللغة والبلاغة في أسفارهم القديمة ثم الحديثة وجمع ما ذكروه في معرض حديثهم عن سورة القارعة أو بعض آياتها.

٢) المنهج الاستنباطي: ويتمثل في استنتاج واستخراج ما تضمنته السورة وآياتها وكلام الأئمة حولها من دلالات ومعاني وهدايات ولطائف وإشارات وروابط.

ب- حدود وإطار البحث:

- التزم البحث بآيات القرآني بشكل عام، وبسورة القارعة بوجه خاص، وبيان بعض الجوانب الدلالية والسياقية والإشارية والبلاغية والعلاقات القائمة بينها.
- جعلت من آيات سورة القارعة موضوعاً لهذا البحث، واجتهدت في استنباط ما فتح الله من أسرارها، محاولاً فهم سياق هذه الآيات وتجلية مظاهر الإعجاز فيها، مما أحسب أنه سيسهم في إثراء الأبحاث التطبيقية المتعلقة بالقرآن الكريم.

ج- طريقة عملي في البحث:

يمكن توضيح الطريقة التي اتبعتها في كتابة البحث في النقاط الآتية:

- استقرأت القرآن الكريم للوقوف على المواضع التي وردت فيها أبرز ألفاظ وآيات السورة ومعانيها وحصرتها قدر الاستطاعة.
- استقرأت كتب التفسير والبلاغة والمعاجم اللغوية لجمع الكلام حول السورة وألفاظها ومعانيها، وكذلك الآيات المقاربة، ثم قمت بدراستها، وتقسيمها، وبيان الصلات والعلاقات بينها.
- رتبت المباحث حسب تسلسل وترتيب الآيات في السورة، وصنفتها في أربعة مباحث، معنوناً لكل مبحث بموضوع يتناسب مع آياته.
- ما نقلته من كلام غيري فإني أضعه بين علامتي تنصيص " " ثم أشير إلى المصدر في الهامش، فإن لم أنقل بالنص بل بتلخيص الكلام أو مفهومه فإني أقول: ينظر كذا.
- ما نقلته من المصادر والمراجع في أثناء البحث أشير إليه في الهامش ذاكراً: عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، ثم أنقل بقية بيانات الكتاب كاملة في فهرس المصادر والمراجع طلباً للاختصار وعدم التكرار، فأذكر: اسم الكتاب، واسم مؤلفه، واسم المحقق –إن

وُجد- ودار النشر، ورقم الطبعة، وسنة الطبع -إن وُجدت- وعدد الأجزاء.

- ذكرتُ الكتاب باسمه الذي سماه به مؤلفه عند العزو، وإن كان غيره أشهر منه؛ ليكون طالب العلم على دراية بأسماء الكتب.
- أَثْبتُّ الآيات القرآنية وفق الرسم العثماني، وعزوتها إلى مواضعها في القرآن الكريم.
- خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها، وحكمت على غير ما في الصحيحين بذكر بعض ما قاله أهل العلم في الحديث تصحيحاً أو تضعيفاً.
- عزوتُ كل قول إلى قائله -قدر الاستطاعة-، وعلَّقتُ على الموضوعات التي تحتاج إلى تعليق -قدر الطاقة- وأوضحت الألفاظ الغريبة، والمصطلحات العلمية من مصادرها الأصلية.
- ضبطتُ بالشكل ما يحتاج إلى ضبط مما تُشكِل قراءته، ويلتبس نطقه.
- ختمتُ البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس الفنية.

خطة البحث

انتظم عقد هذا البحث ونمط تقسيمه واقتضت طبيعته أن يكون في: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية، وبيانها على النحو التالي:

مقـــدمة

وقد اشتمَلَتْ على:

أهميـة الموضـوع وأسـباب اختيـاره، والدراسـات السـابقة، والهـدف مـن البحث، ومنهجه، وخطته.

التمهيـد

وقد اشتمل على:

أولاً: تاريخ نزول سورة القارعة، ووجه تسميتها.

ثانياً: عدد حروف سورة القارعة، وكلماتها، وآياتها، وبعض خصائصها.

ثالثاً: موضوعات سورة القارعة، ومقاصدها.

رابعاً: المعنى الإجمالي لسورة القارعة، ومناسباتها.

خامساً: ما ورد في شأن سورة القارعة.

المبحث الأول: الاستفهام والإخبار عن يوم القيامة.

المبحث الثاني: أحوال بعض المخلوقات يوم القيامة.

المبحث الثالث: الحساب والجزاء والعاقبة يوم القيامة.

المبحث الرابع: ميزان يوم القيامة حقيقته وحكمته.

وأخيراً الخاتمة، وبها أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس الفنية.

التمهيد

أولاً: تاريخ نزول سورة القارعة، ووجه تسميتها.

تـاريخ النـزول: سـورة القارعـة مكّيّـة، وهـي مـن قصـار المفصـل[١]، وترتيبها المصحفي: الواحدة بعد المائة (١٠١) في الجزء الثلاثين (٣٠)، سبقتها سورة العاديات ولحقتها سورة التكاثر، وتُعد السورة الثلاثين (٣٠) في الترتيب النزولي، نزلت قبل سورة القيامة، وبعد سورتي التين وقريش[٢]، وتاريخ ذلك كان بين الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسراء والمعارج[٣]، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "نزلت سورة القارعة بمكة"[٤]، ويقول الإمام

---

(١) قال النبي ﷺ: "أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل". إسناده حسن، وقال الإمام الهيثمي: رواه أحمد، وفيه: عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات.

والسبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف اتفاقاً، واختلفوا في السابعة هل هي التوبة أم يونس؟ والأشهر أنها التوبة. والمئين: السور التي تزيد آياتها عن مائة آية على الصحيح باستثناء السبع الطوال. والمثاني: السور التي تقل آياتها عن مائة آية باستثناء سور المفصل. والمفصل على الصحيح: من سورة ق إلى الناس. وقصاره: من الضحى إلى الناس. ينظر: مسند الإمام أحمد: مسند الشاميين – حديث واثلة بن الأسقع – رقم: ١٦٩٨٢ – (٢٨/ ١٨٨)، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (٧/ ٤٦)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٤٤).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٨٠٩)، وفضائل القرآن لابن الضريس (ص٣٣)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (١٠/ ٢٧٤).

(٣) تقريباً في عام: ٦٢١م، عام: (١١) من البعثة النبوية.

(٤) فضائل القرآن لابن الضريس (ص٣٣)، وعزاه الإمام السيوطي إلى ابن مرْدَوَيْه في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٦٠٥).

الماوردي: "سورة القارعة مكية في قولهم جميعاً"[١]، ويقول العلامة ابن عطية: "هي مكية بلا خلاف"[٢]، ويقول الإمام القرطبي: "هي مكية بإجماع"[٣].

وجه التسمية: اتفقت المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة على تسميتها بـ (سورة القارعة)، ولم يرو شيء في تسميتها من كلام الصحابة والتابعين، وقد أُخذ اسم السّورة من مفتتحها، وهي الآية الأُولى فيها[٤].

****

ثانياً: عدد حروف سورة القارعة، وكلماتها، وآياتها، وبعض خصائصها.

عدد حروفها: (١٥٢) مائة واثنان وخمسون حرفاً، وعدد كلماتها: (٣٦) ست وثلاثون كلمة.

واختلف في عدد آياتها على ثلاثة أقوال:

١. إحدى عشرة آية، في عد أهل الكوفة.
٢. وعشر آيات، في عد أهل المدينة وأهل مكة.
٣. وثماني آيات، في عد أهل الشام والبصرة.

---

(١) النكت والعيون للماوردي (٦/ ٣٢٧).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٥/ ٥١٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ١٦٤).

(٤) سورة القارعة إحدى سور القرآن المفتتحة باسمها، وهي أول كلمة منها، ونظيرها سور: الحاقة، وعَبَسَ، والرحمن. ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي (١/ ٥٣٩)، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٥٠٩).

والاختلاف واقع في ثلاث آيات:

١. (الْقَارِعَةُ) الأولى، عدّها الكوفيون آية، ولم يعدها الباقون.

٢. (ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ) لم يعدها البصريون والشاميون، وعدها الباقون.

٣. (خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) لم يعدها البصريون والشاميون، وعدها الباقون[١].

ومن أهم خصائص وفرائد سورة القارعة:

١) لا ناسخ ولا منسوخ فيها، وهي إحدى السور الثلاث والأربعين الخاليات، التي لم يدخلها ناسخ ومنسوخ[٢]، يقول الإمام ابن حزم: "سورة القارعة مكية، وجميعها محكم"[٣].

٢) لم يذكر فيها لفظ الجلالة، أو أي اسم من أسماء الله وصفاته.

٣) السورة الوحيدة التي ذكرت فيها الكلمات التالية: (الفراش، المنفوش).

ثالثاً: موضوعات سورة القارعة، ومقاصدها.

تحدثت السورة الكريمة عن مجموعة من الموضوعات والمقاصد الشرعية من أهمها:

١. الحديث عن المراحل الثلاثة لليوم الآخر: البعث والحساب والمصير.

٢. إثبات وتقرير وقوع البعث يوم القيامة، وما يسبق ذلك من أهوال وأمارات، وما يكون فيه من شدائد ومشاهد وأحداث عظام.

---

(١) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي (٣/ ٢٣٩)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (١٠/ ٢٧٤)، والبيان في عدّ آي القرآن لأبي عمرو الداني (ص٢٨٥).

(٢) منها: الفاتحة، ويوسف، ويس، والحجرات، والرحمن، والحديد، والصف، والجمعة، والتحريم، والملك...إلخ. ينظر: الناسخ والمنسوخ للمقري (ص٢٠٢)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص١٠)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص٣٥).

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص٦٧).

٣. إثبات الجزاء على الأعمال، وأن أهل السعادة والكرامة والأعمال الصالحة الراجحة المعتبرة عند الله لهم جنات النعيم، وأهل الشقاوة والهوان والأعمال السيئة التي لا وزن لها عند الله لهم الجحيم المقيم.
٤. التحذير والإنذار بهول القيامة ومصير المسيئين، والتبشير ببيان مصير المحسنين.
٥. قرع الأحاسيس والمشاعر الروحية والمادية من خلال التعرض السريع لبعض مظاهر ومخاوف وأهوال القيامة؛ وذلك لتهذيب النفوس وتحريك الوجدان نحو الإيمان والعمل والالتزام والمسؤولية.
٦. بيان عِظم النهايات، سواء كان من ناحية الزمن والمكان الذي وصفته وتحدثت عنه القارعة العظيمة، أو من ناحية نهاية عمل كل إنسان قبولاً أو رفضاً، خفةً أو ثقلاً[١].

موضوع السورة ومقصودها العام:

يقول العلامة الفيروزآبادي: "معظم مقصود السّورة: بيان هيبة العَرَصات، وتأْثيرها فِي الجمادات والحيوانات، وذكر وَزن الحسنات والسّيئات، وشرح عيش أَهل الدرجات، وبيان حال أَصحاب الدّركات"[٢]، والإشارة إلى نوعي التهويل العظيمين، وهما القيامة وأهوالها الكثيرة، والنار ومخاوفها وعلة استحقاقها من اقتراف الآثام، والعمل للدنيا، والانشغال بها عن الدين، وترك الاستعداد للآخرة، فهي بمثابة تَذْكِرَة على الطريق لمن

(١) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي (٣/ ٢٤٠)، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٥٠٩)، والتفسير الحديث لمحمد دروزة (٢/ ١٨٢).
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي (١/ ٥٣٩).

غفل؛ لينتبه ويجتهد في السير، ويُحسِن العمل، ويُسرِع الخطى[1].

****

رابعاً: المعنى الإجمالي لسورة القارعة، ومناسباتها.

المعنى الإجمالي العام للسورة الكريمة:

سورة القارعة فيها وعظ وتخويف ووعد ووعيد، فهي تتحدث عن حقيقة القيامة، ومقدماتها، وما يقع فيها، وما تنتهي إليه، فتعرض بعضاً من مشاهدها كخروج الناس من قبورهم وانتشارهم، ونسف الجبال وتطايرها، والميزان، والحساب والجزاء والفصل بين الناس ومصائرهم، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته أُدخل الجنة؛ لأنه من المحسنين الأخيار، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته أُدخل النار؛ لأنه من المسيئين الأشرار، داعية بذلك العباد إلى الاستعداد والتأهب والتوبة والامتثال والطاعة لرب الأرباب[2].

المناسبة بين سورة القارعة والتي قبلها:

لما خُتمت السورة السابقة (العاديات) بوصف يوم القيامة، أعقبتها هذه السورة للحديث عن القيامة ووصفها الرهيب وأهوالها المخيفة، فلما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ كان ذلك مظنة لأن يُسأل متى تقع هذه الأوصاف ويكون الجزاء؟ فقيل يوم القيامة، فكأنه عيّن اليوم الذي يكشف فيه ما في الصدور ويبعثر ما في القبور، وهو يوم القارعة الذي سيبين ويصور قدرة ذلك الرب الخبير.

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٢/ ٢٢٠).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٤٨٨)، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٣٠/ ٣٧٤).

وقد تحدثت بداية سورة (العاديات) عن أوصاف الخيول المجاهدة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله في الدنيا، واصطكاك وضرب سنابكها[١] بالحجارة فيخرج الشرر من قوة الاصطدام، ثم ذكرتنا بداية سورة القارعة بضرب واصطكاك قادم لا محالة سيكون لمخلوقات أعظم شأنا وأضخم وأجل قدراً، فإذا كان حال هذه الخيل المجاهدة يدعو إلى الفخر والزهو والشرف لصاحبها مع إلقاء الخوف والرهبة في قلوب العدو، فإن اضطراب المخلوقات يوم القيامة أعظم مهابة وأكثر إخافة.

المناسبة بين سورة القارعة والسور السابقة واللاحقة:

جاءت سورة القارعة بين مجموعة سور تتحدث وتدور في سياق الترغيب والترهيب، وتبرز قضية الإنذار والتخويف من القيامة ومشاهدها وأحوالها من حساب وجزاء؛ لعل العباد يعقلون، فينتبهوا لما بعد هذه الحياة المادية، ويتبعوا الحق، ويستعدوا للحياة الحقيقية.

فسورة الزلزلة: ذَكَرت زّلزلة الأرض يوم القيامة، وشهادتها على الناس بذكر أخبارهم وأعمالهم، ثم أشارت إلى الحساب وعدالة الميزان وإرجاع الحقوق لأصحابها، والجزاء على مثاقيل الذرّ خيراً وشراً.

ثم جاءت سورة العاديات: فأشارت إلى ظهور ما يخفيه الناس في صدورهم يوم القيامة، ثم حسابهم وجزائهم بحسبه، وحذرت من عواقب قبائح النوايا والحب الشديد للمال بدلاً من حُبّ الله المنعم الخبير بكل الأحوال.

ثم جاءت سورة القارعة: فذَكَرت بعض مشاهد وأهوال يوم القيامة، ووزن الأعمال، والوعد للطائعين والوعيد للعاصين.

ثم جاءت سورة التكاثر: فأشارت إلى القبر والموت ورؤية النار

(١) السنابك: مفردها السُّنْبُك: وهو طرف الحافر وجانباه من قُدُمٍ. ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: (سنبك) (١٠/ ٤٤٤).

حقيقةً، وموقف الحساب والسؤال عن النعيم الذي انشغل به الناس واتخذوه جهلاً للتكاثر بدلاً من التقرّب إلى الله.

ثم جاءت سورة العصر: لتخويف العباد بالخسران إن لم يبصروا الإيمان، ويعملوا الصّالحات، ويتبعوا دين الفطرة، فوجب عليهم وضع العواطف والشهوات جانباً، والاختيار بميزان الحق والعدل بين الأعمال الرابحة أو الخسارة، فالقرار قرارهم.

ثم جاءت سورة الهُمزة: لتخويف المنشغلين بالهَمز واللمز وجمع المال وتعداده، وأنَّ مصيرهم يوم القيامة إن استمروا في غيهم هو الطرح في النار الموقدة خالدين فيها(١).

****

خامساً: ما ورد في شأن سورة القارعة.

يمكن الحديث عن بيان ذلك من خلال النقاط الآتية:

أولاً: لم يرد في بيان فضلها أحاديث صحيحة صريحة، لكن هناك مجموعة من الأحاديث الضعيفة أو الواهية والموضوعة تَرِد أحياناً في بعض كتب التفسير، من بينها:

أ- روي عن أُبيّ بن كعب ﷺ أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: "مَن قرأ سورة القارعة ثَقَّل اللَّه بها ميزانه يوم القيامة، ومن قرأها عند النوم كُفِي"(٢).

---

(١) وللمزيد ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي (ص: ٣٧٤ – ٣٧٦)، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان (١٠/ ٥٣٢)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٢/ ٢١٠ – ٢٢١)، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٣٠/ ٣٥٥ – ٣٧٤).

(٢) نقله الإمام الثعلبي في تفسيره (٣٠/ ١٩٤)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وينظر: الفتح السماوي للمناوي (٣/ ١١١٨).

ب- روي عن عليّ ﷺ أنه قال: قال رسول اللّه: "مَن قرأ سورة القارعة فكأنما ذَبَح ألف بَدَنة بين الركن والمقام، وله بكل آية قرأها ثواب المرابِطين، وبكل حرف درجة في الجنة، وكُتِب عند الله من الخاشعين"(١).

ج- كان رسول الله ﷺ إذا فَقَدَ الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه ... ففَقَدَ رجلا من الأنصار ... فخرجنا مع رسول الله ﷺ نَعودُهُ ... فقال: كيف تَجِدُك؟ قال: لا يدخُل شيء في رأسي إلا خرج من دُبُري، قال: ومِمَّ ذاك؟ قال: يا رسول الله، مررت بك وأنت تصلي المغرب، فصليت معك وأنت تقرأ هذه السورة: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ﴾ إلى آخرها، فقلت: اللهم ما كان لي من ذنب أنت معذبي عليه في الآخرة فعَجِّل لي عقوبته في الدنيا؛ فتراني كما ترى، فقال رسول الله ﷺ: لبئسما قلت، ألا سألت الله تعالى أن يؤتيك في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وأن يقيك عذاب القبر...(٢).

ثانياً: صحت بعض الأحاديث والآثار والأقوال المتعلقة بالسورة أو بعض معانيها، معظمها يدور حول ما ورد في طياتها من حديث عن أهوال وأحداث ومعاني مخيفة شديدة، ومن ذلك:

---

(١) نقله الإمام الفيروزآبادي ثم قال: حديث واهٍ ساقط. ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي (١/ ٥٣٩).

(٢) حديث طويل، نقله الإمام ابن حجر ثم قال: "أول الحديث بمعناه في الصحيح، وليس بسياقه، ومن كلام عمر إلى آخره، تفرّد به عبّاد بن كثير، وهو واهٍ، وآثار الوضع لائحة عليه"، وقال الإمام الهيثمي: "رواه أبو يعلى، وفيه عبّاد بن كثير؛ وكان رجلًا صالحاً، ولكنه ضعيف الحديث، متروك لغفلته". ينظر: مسند أبي يعلى (٥/ ٢٠٨)، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (٢/ ٢٩٦)، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني (٤/ ٥٦).

١) قال أبو بكر ﷺ: "يا رسول الله أسرع إليك الشيب، قال: أجل شيبتني هود وأخواتها: الواقعة، والقارعة، والحاقة، وإذا الشمس كورت، وسأل سائل"(١).

٢) سياق وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، لما حضرته الوفاة واستخلفه على الناس، جاء فيها: "إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف"(٢).

٣) قال ابن عباس ﷺ: "لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إليّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً(٣)"(٤).

٤) قال محمد بن كعب القرظي: "إِنِّي لَأَن أقرأ القارعة وإذا زلزلت في ليلة أُرَدِّدُهَا وأتفكر فيهما أحب إلي من أن أَبِيتَ أَهُذّ القرآن"(٥).

---

(١) حديث حسن، أخرجه ابن مردويه، وابن عساكر، وابن سعد عن أنس بن مالك. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٣٦)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤/ ١٧٤)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٤/ ٣٩٧).

(٢) أخرجه الإمام ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق (ص: ٣١٩)، ورواه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩/ ٢٩٧)، وقال المحقق: رجاله ثقات، وإسناده منقطع.

(٣) أي: مبالغاً ومكثراً للآيات بلا تدبر، ومنه: تَهْذِير المال: تفريقه وتبذيره. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مادة: (هذر) (١٤/ ٤١٩).

(٤) ينظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لأبي طالب المكي (١/ ٨٦)، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (١/ ٢٧٧)، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي (٢/ ٢٦٤).

(٥) أهذّ القرآن: أنثره نثراً بقراءة سريعة بلا تدبر. ينظر: الزهد لوكيع (ص٤٧٩)، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (١/ ٢٧٧)، والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢/ ٢١٨).

٥) كان الفضيل بن عياض ﷺ كلما افتتح سورة القارعة قطعته العبرة من شدّة الهول، وقد فارق الدّنيا وما ختمها[١].

٦) وكان من دعاء الفضيل ﷺ لابنه: اللهم إني اجتهدت في تأديب عليّ وعجزت عنه، فأدبه أنت لي، فأدبه ربه ﷻ، فكان لا يستطيع قراءة سورة القارعة؛ من شدة وجله وخوفه[٢].

****

(١) ينظر: التفسير الكبير للطبراني (٦/ ٥٤٧).

(٢) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٨/ ٢٩٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٤٤٥).

المبحث الأول

الاستفهام والإخبار عن يوم القيامة

إن الناظر والمتأمل والمتدبر لبداية سورة القارعة وافتتاحها بقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[1] يقف على مجموعة من المعاني والفوائد والهدايات واللطائف والإشارات من أهمها ما يلي:

١/ في باب الألفاظ:

أولاً: القارعة: اسم فاعل من القرع، والجمع: القَوارِع والقارعات، وهي الضرب والاصطكاك بشدة بحيث يحصل منه صوت شديد، ثم سميت الداهية الشديدة والنازلة والمصيبة والحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة وإن لم تكن من الأصوات[2]، ومن ذلك قول العرب: أصابتهم قوارع الدهر، وقرعتهم القارعة، إذا وقع بهم أمر فظيع، ومنه: قوارع القرآن، وهي الآيات التي من قرأها أمِنَ من الإنس والجِنّ والشياطين، مثل: آية الكرسي، وأواخر سورة البقرة، ويس؛ فهي تَقْرَعُ الشيطان والشر، وتَصرِفُ القَرْع عمَّن قرأَها[3].

---

(١) سورة القارعة: الآيات ١ – ٣.

(٢) ونظير ذلك قول النبي ﷺ: "من لم يغزُ، أو يجهِّزْ غازياً، أو يَخلُفْ غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة". رواه الإمام أبو داوود في سننه: كتاب: الجهاد – باب: كراهية ترك الغزو – رقم: ٢٥٠٣ – (٤/ ١٥٨). وقال الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) ينظر: العين للخليل بن أحمد، مادة: (قرع) (١/ ١٥٦)، وتهذيب اللغة للأزهري، مادة: (قرع) (١/ ١٥٧)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة: (قرع) (٥/ ٧٢)، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مادة: (قرع) (٢١/ ٥٤٤)، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (١٣/ ١٤٦).

ثانياً: تدور مادة (قرع) حول معنى: تجرد ظاهر الشيء مما يكسوه عادة، ومنه: قارِعَة الدار: ساحَتُها، وقارِعَة الطريق: أَعْلَاه ووسطه، وقَرِعَ ماء البئر: نَفِدَ، والرجل: ذهب شعر رأسه.

فساحة الدار لا بناء عليها، وأعلى الطريق منكشف، وقاع البئر الذي لا ماء يغطيه، والأرض وجِلْد الرأس لا نبات ولا شعر عليها، ومنه القارعة هنا؛ لما تصنعه بالناس والجبال فتكشفهم عن الأرض ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[1].

ثالثاً: القارعة اسم من أسماء يوم القيامة كالحاقة والطامة والصاخة والآزفة والساعة والغاشية، وكثرة الأسماء تدل على شرف وعِظم المسمى، ومكانته والعناية به، وكلها تدل على حقيقة واحدة وهي القيامة، ولكل اسم منها دلالة على معنى خاص به وإشارة إلى صفة مختلفة من صفات القيامة، ويحدد ذلك السياق القرآني، والمعنى المشهور للفظ في اللغة[2].

رابعاً: سياق السورة يؤكد أن لفظة (القارعة) هي المفردة المناسبة هنا؛ ودليل ذلك التأمل في الحالات والمشاهد التي ذُكرت في سياق السورة، من

---

(١) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم لمحمد جبل، مادة: (قرع) (٤/ ١٧٧١).

(٢) يقول الإمام الطبري: "الْقارِعَةُ: الساعة التي يقرع قلوبَ الناس هولُها، وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها، وذلك صيحة لا ليل بعدها"، وروي عن عبد الله بن عباس وقتادة بن دعامة ووكيع بن الجرّاح أنّ القارعة هي الساعة وهي مِن أسماء يوم القيامة، مبدؤهَا النفخةُ الأُولى ومُنتهاهَا فصلُ القضاءِ. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٣/ ٥٧٠) (٢٤/ ٥٧٣)، والهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١٢/ ٧٦٦٠)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٩/ ٧٠).

تفرق الناس، وتغير الجبال بسبب الصوت والدق والاضطراب، وكل ذلك من نتائج هذه القارعة، فصورت المفردة هذه المناظر المخيفة بدقة شديدة.

****

٢/ ومن باب المعاني:

أولاً: بَدأَت السورة بكلمة مفردة مبهمة: "القارعة"، ثم أعقَبها سؤال التَّهويل والتعظيم والتخويف والترهيب: "ما القارعة؟" فهي الأمر الغَامِض الذي يُثِير الدَّهشة والتَّساؤل! فتوحى إلى المخاطب بأن ما ذكر لا يليق أن يمر به المرء مر الكرام، بل الواجب التريث والتمهل وفهم حقيقته ومدلوله، ثم أجاب بسؤال التَّجهيل والتعجيز: (وَما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ؟) فكيفما قدّرت فهي أعظم من تقديرك، وأكبَرُ مِن أن يُحِيط بها الإدراك، أو أن يُلِمَّ بها التَّصور! فلا أحد يعلم الجواب، ثم يجيب الله ﷻ لأنها أمر غيبي (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ...)، والغاية من الإبهام والتّهويل والتعجيز هو الاستعداد لها والتّحذير منها، وتفصيل ذلك كما يلي:

١) افتتاح السورة بقوله: (القارعة) فيه وصف لشدة هول يوم المعاد، وتعجيب وتذكير من الله لعباده عما يكون في ذلك اليوم من الأحوال والأفعال الشديدة ليتفكروا في العواقب، ويتدبروا ما يستقبلهم في الأواخر من جزاء، فيُعملوا عقولهم ويمتنعوا وينزجروا بذلك عما نهاهم الله عنه، أو يتذكروا فيزدادوا بذلك حرصاً في الخيرات، جعلنا الله من هولها من الآمنين، ونسأله معافاته ورحمته[١].

٢) قوله: (ما القارعة؟) استفهام، فيه معنى التعظيم والتفخيم والتعجب من هولها وحقيقتها، فيعُجّب سبحانه عباده من عِظم هولها، ويوجه أنظارهم إلى التفكير فيها، والمعنى: أيّ شيء القارعة؟! ما أعظمها وأفظعها

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٠/ ٦٠٤).

وأهولها، ونظير ذلك: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾، وقوله: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ[١]﴾[٢].

٣) أكد وزاد أمرها تفخيماً، وشأنها تعظيماً، وشدتها تهويلاً، وحالها تعجيباً فقال على سبيل الاستفهام: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾، وأيّ شيء يعرفك بها، فإنك لا تعلم أيها المخاطب والسامع حقيقة أمرها، وكنه وصفها على التفصيل، فلا شيء يحيط بها؛ فمهما تخيلت أمرها وحدست شأنها فهي أعظم من تقديرك وتصورك ودرايتك؛ لأنها خارجة عن دائرة علوم الخلق، فهي تختلف عن قوارع الدنيا مهما بلغ عظمها اختلافاً كبيراً، فلا يعلم مقدارها إلا الله تعالى، ولا سبيل لأحد إلى العلم بها إلا بإخبار الله وبيانه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾، وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[٣].

ثانياً: النفس البشرية شديدة الميل إلى الانفلات والتحلل والفوضى لولا قرعها بنصائح الآخرة وما فيها من أهوال، ولذلك جاءت آيات القرآن بالإنذار والتحذير؛ لكي نعقل ونسمع ونستقيم؛ فأمر القارعة أمر مهول، ومفزع للقلوب، يؤثر على طبيعة الكون والأجرام العظيمة، فما بالك بالإنسان ذا الحجم الضئيل والصغير، فكأنه تعالى يقول: قوارع الدنيا في جنب تلك

(١) سورة الواقعة: الآية ٨.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٤/ ٥٧٤)، والهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١٢/ ٨٤٠٩)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٢/ ٢٢٠).

(٣) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٢/ ٢٦٦)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٢/ ٢٢٠)، وتفسير المراغي (٣٠/ ٢٢٥)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٤٨٩).

القارعة ليست بقوارع، ونار الدنيا في جنب نار الآخرة ليست بنار، وفي هذا تحذير شديد وإرهاب لا مثيل له، فهي تقرع أعداء الله بالعذاب، وأما أولياؤه فهم من الفزع آمنون(١).

ثالثاً: في السورة مثال تطبيقي لتفسير القرآن بالقرآن، فالمراد بالقارعة قد فسره ما بعده، وظهر هذا بملاحظة سياق الآيات: ﴿الْقَارِعَةُ ۞مَا الْقَارِعَةُ ۞وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۞يوم يكون النّاس كالفراش المبثوث ۞ وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾.

رابعاً: اختلف في سبب تسمية يوم القيامة بالقارعة على وجوه:

أ- أن سبب ذلك هو الصيحة؛ ففي الصيحة الأولى تذهب العقول وتفزع النفوس وتموت الخلائق، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾(٢)، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾(٣)، وفي هذه الصيحة تموت الخلائق سوى إسرافيل، ثم يميته الله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٤)، ثم يحييه الله، فينفخ بالثانية وهي صعقة البعث فيقومون ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾(٥).

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن النيسابوري (٦/ ٥٥٢):

(٢) سورة النمل: الآية ٨٧.

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٤) سورة الرحمن: الآية ٢٦، ٢٧.

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٨.

ب- أن الأجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكاً شديداً عند تخريب العالم، فتنتقل من حالٍ إلى حالٍ: السماء بالانشقاق والانفطار، والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتشار، والأرض بالزلزلة والتبديل، والجبال بالدك والنسف، وبسبب تلك القرعة سمي يوم القيامة بالقارعة.

ج- أن القارعة هي التي تقرع قلوب وأسماع الناس بفنون الأهوال والأفزاع والنوازل والأفظاع، وتقرع أعداء الله بالعذاب والخزي والنكال، قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾(١). ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾(٢)، ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ(٣)﴾(٤).

وهذه الوجوه لا تعارض بينها في الحقيقة، **ولفظ القارعة يحويها جميعاً، ولا مانع من وقوع هذه الأمور مجتمعة يوم القيامة بقدرة الله ﷻ.**

****

٣/ ومن باب النظائر:

أولاً: وردت مادة "قرع" في موضعين آخرين من القرآن الكريم بصيغة اسم الفاعل، وذلك في سورتي الرعد والحاقة، وبيانهما كالتالي:

١) جاءت في سورة الرعد بمعنى الداهية والمصيبة العظيمة: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا

(١) سورة النمل: الآية ٨٩.

(٢) سورة يس: الآية ٥٢.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٨٣.

(٤) ينظر: التفسير البسيط للواحدي (٢٤/ ٢٦١)، والتفسير الكبير للفخر الرازي (٣٢/ ٢٦٥)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٤٨٨).

أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[1]، يقول تعالى ذكره محذراً الكافرين من التمادي في كفرهم، ومبشراً المؤمنين بحسن العاقبة، ولا يزال الذين كفروا تُصيبهم بسبب ما صنعوه من الكفر والتكذيب وسوء الأعمال –قارعة– داهية ومصيبة تفجؤهم وتزعجهم وتقرعهم بصنوف البلايا والنقم والحروب والقتل والقحط، أو تحل وتنزل تلك المصيبة في مكان قريب منهم ومن ديارهم، فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شرارها، ويتعدى إليهم شرورها، حتى يأتي وعد الله بهلاكهم وهزيمتهم وبنصر المؤمنين عليهم، لأن الله لا يخلف موعوده لرسله ولعباده المؤمنين، كما قال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2]، وقال: ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[3]، وأبهم ﷻ ما يصيب الكافرين من قوارع، لتهويلها وبيان شدتها[4].

٢) جاءت في سورة الحاقة بمعنى القيامة وأحداثها: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾[5] كذّبت ثمود –قوم صالح عليه السلام–، وعاد –قوم هود عليه السلام–

(١) سورة الرعد: الآية ٣١.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٢٧.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٤٤.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٦/ ٤٥٦)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٥/ ٢٩٤)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٢/ ٥٣١)، والتفسير الكبير للفخر الرازي (١٩/ ٤٣).

(٥) سورة الحاقة: الآية ٤.

بالساعة التي تقرع الخلق وقلوبهم، فتهجم عليهم بفنون الأهوال والشدائد والأفزاع، والانشقاق، والدك ...إلخ، وكان الأصل ومقتضى الظاهر أن يقال: كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِهَا، فوضع (القارعة) موضع (الضمير) ليدل على أن معنى القرع والروع حاصل في الحاقة، فيكون ذلك زيادة في وصف شدة الحاقة وهولها، وتأكيداً وتفخيماً لأمرها(١).

ثانياً: جيء في سورة الحاقة بلفظة (بالقارعة) لاجتذاب أسماع من يغتر بالدنيا ويكذب بالبعث والرسل، ولتخويف وترهيب نفوس السامعين بما حل للأمم السابقة من عذاب، ودعوة للبحث والتعرف على الشواهد والعجائب والعظائم التي ستقع في الآخرة، وحث للنظر والفهم الداعي إلى الإيمان(٢).

ثالثاً: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ الجملة مسوقة لبيان بعض أحوال الحاقة بعد تقرير عدم دراية أحد بها ﴿ومَا أدراك ما الحاقّة﴾، ونظيره: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَه * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ إلا أنَّ المبيّن في سورة القارعة هو نفسُ المسؤولِ عنه، والمبيّن في سورة الحاقة حالٌ من أحوالِهَا.

وقوله: ﴿ومَا أدراك ما الحاقّة * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ نظيرها:

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٤/ ٥٩٨)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥/ ٢٣٩)، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني (٤/ ٣٦٨).

(٢) وفي هذه الآية تسلية للنبي ﷺ بذكر ما استحقته الأمم السابقة بسبب تكذيبهم رسل الله، ودعوة له ﷺ بعدم الحزن لصنيع قومه وتكذيبهم له، وتوجيهاً له بالشفقة عليهم والرحمة بهم والصبر على أذاهم ومكرهم، فهذه هي سنة الرسل السابقين. ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٠/ ١٦٥).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القدر * لَيْلَةُ القدر خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1]، فكمَا أنَّ المبيّن ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها، كذلك المبيّن ههنا هول الحاقة، وعظم شأنها، وكونها بحيث يحق إهلاك من يكذب بها، كأنه قيل: وما أدراك ما الحاقة، كذبت بها ثمود وعاد فأُهلِكُوا[2].

رابعاً: قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ﴾ أشدُّ هولاً من قوله: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾؛ لأن النازل آخراً لا بد وأن يكون أبلغ؛ لأن المقصود منه زيادة التنبيه، وهذه الزيادة لا تحصل إلا إذا كانت أقوى. وأما بالنظر إلى المعنى فيشتركان في الشدة: فـ "الْحَاقَّةُ"؛ أشدُّ لكونها راجعة إلى معنى: العدل، و"الْقَارِعَةُ"؛ أشد لكونها تهجم على القلوب بالأمر الهائل[3].

****

٤/ ومن باب الإشارات:

أولاً: القرع ثلاث: قرع للأبدان بسهام الموت، وقرع للأعمال بسؤال الله إياهم، وقرع للقلوب بخوف القطيعة[4].

ثانياً: سميت قارعة لثلاثة: لأنها تقرع في أذن العبد بما علمه وسمعه، والثاني: تقرع أركان العبد بعضه في بعض، والثالث: تقرع القلوب كما يقرع القصار الثوب[5].

ثالثاً: يا قارع رأس نفسك بمقرعة الشقاوة، اعتبر بسورة القارعة حيث

---

(١) سورة القدر: الآية ٢، ٣.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٩/ ٢٢).

(٣) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٢/ ٢٦٦).

(٤) ينظر: تفسير التستري (ص٢٠٣).

(٥) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٦١١).

يقول الله لك: قد جاءت القارعة احذرها، ولا تثقل مقرعتك بالهوى[١].

رابعاً: القوارع ثلاثة:

١/ قارعة تصيب الموتى فيحيون من القبور، ويُبعَثُون كالفراش متفرقين، لا إلى وِجهة يَقْصِدون، ولا يدركون أين يذهبون؟ حتى إذا أُفِيقُوا اتجهوا لأرض محشرهم، حيث الحسابُ والميزان، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[٢].

٢/ قارعةٌ تصيب الكافرين في الدنيا لينتبهوا ماذا يقولون؟ وماذا يفعلون؟ بعد أن طفح الكيل من تَجَرُّئِهم على الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٣].

٣/ قارعة تجتاح الغافل، فهي كالإنذار الشديد حتى ينتبه من غفلته، فيعمل صالحاً بما يثقل معه الميزان، وقد علمنا رسول الله ﷺ أن نلجأ إلى الله إذا نزلت بنا نازلة، فعن حذيفة ﷺ قال: "كان النبي ﷺ إذا حَزَبَه أمر صلى"[٤]، وعن ابن مسعود ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ إذا نزل به هَمٌّ

---

(١) ينظر: التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي لأحمد بن عمر (٤/ ١٣١).

(٢) سورة يس: الآيات ٥١ – ٥٣.

(٣) سورة الرعد: الآية ٣١.

(٤) رواه الإمام أبو داوود في سننه: باب: تفريع أبواب التطوع وركعات السنة – باب: وقت قيام النبي ﷺ من الليل – رقم: ١٣١٩ – (٢/ ٤٨٥). وقال المحقق: حديث حسن.

أو غَمٌّ، قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث"[١]، وعنه ﷺ: "دعوات المكروب، اللهُمَّ رحمَتَكَ أرجو، ولا تكلني إلى نفسي طرفةَ عين، وأصلِحْ لي شأني كله، لا إله إلا أنت"[٢]، فإن لم ينتبه إلى قلة أعماله وخفة ميزان حسناته فإنه على وشْك السقوط في هاوية جهنم[٣].

****

٥/ ومن باب البلاغة:

أولاً: الإفصاح والإظهار في موضع الإضمار له فائدة جزلة، وهي تعظيم حال الأمر المظهر والعناية بحقه والمبالغة في إظهار الفخامة فيه، وهنا قوله: (الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ) الأصل فيه: القارعة ما هي؟ أيٌّ شيء عظيم مَهول هي؟ فوضع الاسم الظاهر موضع المضمر تفخيماً لشأنها، وتفظيعاً لهولها، ونظير ذلك قولك: زيد، ما زيد؟ ووصف أم زرع لزوجها أبي زرع: "زوجي أبو زرع، وما أبو زرع؟ أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ"[٤]، فقولها:

---

(١) رواه الإمام الحاكم في مستدركه: كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر – رقم: ١٨٧٥– (١/ ٦٨٩). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الإمام الذهبي: عبد الرحمن بن إسحاق لم يسمع من أبيه، وعبد الرحمن ومن بعده ليسوا بحجة.

(٢) رواه الإمام الحاكم في مستدركه: كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر – وأما حديث رافع بن خديج – رقم: ٢٠٠٠ – (١/ ٧٣٠). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وقال الإمام الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٢/ ٢٦٥)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٤٨٨).

(٤) هو قطعة من حديث طويل، رواه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب: حسن المعاشرة مع الأهل – رقم: ٥١٨٩ – (٥/ ١٩٨٩). وكل شيء تحرك متدلياً فقد نَاسَ يَنُوسُ نَوْساً، تريد: حلاني بمجوهرات تتحرك بأذني لكثرتها. ينظر: الغريبين في القرآن والحديث للهروي (٦/ ١٨٩٣).

وما أبو زرع؟ هذه الجملة للتعظيم، جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفيَ عليك جنسه، فأنت تسأل عن جنسه، وتفحص عن جوهره(١).

ثانياً: عَدَل ﷺ عن التصريح بلفظ (القيامة) إلى الكناية عنه بلفظ (القارعة)؛ لإثبات ذلك المعنى للقيامة، ولإثبات شاهده ودليله، وهو أنها تقرع القلوب وتزعجها بأهوالها، وذلك تفخيماً لشأن القيامة في نفوس السامعين(٢).

ثالثاً: التكرار في البديع: هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى؛ والمراد بذلك التهويل والوعيد، كقوله هنا: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾(٣).

رابعاً: السر في الإتيان بلفظة (ما) في: ﴿مَا الْقَارِعَةُ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ أنها وضعت لطلب ماهيَّات الأشياء وحقائقها، فتقول: ما الملك؟ وما الروح؟ وما الجن؟ والمراد: طلب ماهيَّاتها، وشرح حقائقها، وذلك يقتضي كون ذلك المطلوب مجهولاً. ثم إن الشيء العظيم الذي يكون لعظمه وتفاقم مرتبته ويعجز العقل عن أن يحيط بكنهه يبقى مجهولاً، فحصل بين الشيء المطلوب بلفظ (ما)، وبين الشيء العظيم مشابهة من هذا الوجه، والمشابهة إحدى أسباب المجاز، فبهذا جُعِلت (ما) دليلاً على عظمة حال ذلك المطلوب، وعلو رتبته(٤).

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٤/ ٦٨٤)، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلويّ (٢/ ٧٩)، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٣٠/ ٣٧٦).

(٢) ينظر: علم البيان لعبد العزيز عتيق (ص٢٢٤).

(٣) ينظر: الكليات لأبي البقاء الحنفي (ص٢٩٧).

(٤) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (٣١/ ٥)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٠/ ٩١).

خامساً: سؤال: إذا أخبَرْتَ عن شيء بشيء فلا بد أن تستفيد منه علما زائداً، وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ يفيد كونه جاهلا به، فكيف يعقل أن يكون هذا خبرا؟

الجواب: قد حصل لنا بهذا الخبر علم زائد؛ لأنا كنا نظن أنها قارعة كسائر القوارع، فبهذا التجهيل والخفاء علمنا أنها قارعة فاقت القوارع في الهول والشدة[1].

سادساً: تحلت كلمة (القارعة) بمجموعة من عناصر القوة والبلاغة:

١) الإتيان على صيغة اسم الفاعل، وهذا من أبرز ملامح التصريف في هذه اللفظة.

٢) الاقتران بالألف واللام التعريفية للدلالة على التفرّد بالصفة، أو الألف واللام الموصولة لإضفاء معنى التعميم والقوة في الحدث.

٣) افتتاح السورة بها، ومعلوم أن الفواتح والخواتيم دائما ما تحظى بالعناية، وتستأثر بالقصد.

٤) تكرارها الذي يفيد تعظيم معناها من قبل قائلها وهو الله ﷻ.

٥) حروف مبانيها المؤدية إلى تعزيز صوت وصفة القوة فيها، كالتفخيم والشدة والقوة في حرف القاف، ومتابعة حرف الألف له في هذه القوة لأنه يتبع ما قبله، والتكرار والارتعاد في الراء.

(١) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٢/ ٢٦٦).

المبحث الثاني

أحوال بعض المخلوقات يوم القيامة

إن الناظر والمتأمل والمتدبر لمنتصف سورة القارعة عند قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾[(١)]، يقف على مجموعة من المعاني والهدايات واللطائف والإشارات من أهمها ما يلي:

١/ في باب الألفاظ:

أولاً: العِهْن: واحدته عِهْنة، وَجمعه عُهونٌ، ويُقَال لكلّ صُوفٍ عِهن، وقيل: هو الصُّوف الْمَصْبُوغ ألواناً، والصوف بذاته ضعيف لين ليس صُلباً[(٢)].

ثانياً: مادة (نفش) يدور معناها حول: تخفيف كثافة الشيء بتفريق بعض أجزاءه عن بعض جَذْباً أو نَشراً فيتسع حَجْمه، كنَفْش الصوف والقطن والشعر والريش[(٣)].

ثالثاً: السر في اختيار كلمة (الناس) بدلاً من (الإنسان) هو مناسبتها للمقام؛ فالمراد إبراز قضية الاجتماع والتكثير والانتشار وهو ما تؤديه هذه

---

(١) سورة القارعة: الآيات ٤، ٥.

(٢) ومن كلام العرب: رمى على عواهنه، أي: أورده من غير فكر وروية، ومنه العاهن: هو الفَقير؛ لأنه ضعيف فارغ الحوزة. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري، مادة: (عهن) (١/ ١٠٤)، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، مادة: (عهن) (٣/ ١٣٥)، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم لمحمد جبل، مادة: (عهن) (٣/ ١٥٤٦).

(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم لمحمد جبل، مادة: (نفش) (٤/ ٢٢٤٠).

اللفظة ومدلولها، بخلاف كلمة (الإنسان) التي تقتضي إبراز طابع وصفة محددة تصدق على الجميع كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[1].

رابعاً: سئل الإمام الكسائي: كم آية آخرها شين؟ فأجاب: اثنتان، هما قوله: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[2]، وقوله: ﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ[3]﴾[4].

****

٢/ ومن باب المعاني:

أولاً: بعد أن بين ﷻ أن معرفة حقيقة القارعة أمر عسير، أتبع ذلك ببيان أماراتها وأحوال الناس وقت وقوعها فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، أي: تحصل القارعة يوم يكون الناس في انتشارهم وتفرقهم وكثرتهم واضطرابهم وضعفهم عند بعثهم وأول قيامهم من قبورهم كطير دقيق منتشر متفرق يتهافت إلى السراج والنار، فيموج بعضهم في بعض، ويركب بعضهم بعضاً، ويتساقط بعضهم ويحترق، ويذهب كل واحد إلى غير جهة الآخر، حالهم كالطائر الذي لا يدري أين يطير؟ وأين يثبت؟ وأين ينزل؟ وذلك من شدة الهول، والفزع، والحيرة مما هم فيه، وانشغال كل واحد بنفسه، فإذا سمعوا الداعي استقاموا وقصدوا أرض المحشر وأقبلوا متتابعين.

ولما كانت الجبال من أشد المخلوقات عظّم الرهبة بالإخبار بما يفعل بها، فقال: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾، أي: وتكون الجبال على ما هي

(١) سورة العاديات: الآية ٦.

(٢) سورة القارعة: الآية ٥.

(٣) سورة قريش: الآية ١.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٥٤).

عليه من الشدة والقوة والصلابة وأنها صخور راسخة ثابتة متماسكة كالصوف المصبوغ ذو الألوان المختلفة المتعددة[١]، والمندوف[٢] المفرق الأجزاء، فتراها بعد دكها ونسفها وزوالها متطايرة في الجو كالهباء المنثور لخفتها وضعفها ووهنها ورخاوتها حتى تصبح سراباً وتعود الأرض كلها لا عوج فيها ولا أمتاً[٣].

ثانياً: ضم الله ﷻ بين حال الناس وحال الجبال، وقرن بينهما في سياق متصل لأمرين:

١) التنبيه على تأثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصّلدة الصّلبة حتى صارت كالعهن المنفوش مع كونها غير مكلفة، فكيف بحال الإنسان الضّعيف المقصود بالتكليف والحساب عند سماع صوت القارعة، فالويل ثم الويل لابن آدم إن لم تتداركه رحمة ربه!

٢) بيان اتساع أرض المحشر، ومهابة الموقف وعظمته، وإظهار العدل والمساواة بين الناس كتساوي الأرض في ذلك الوقت، مع إزالة كافة العوائق والعثرات والحواجب والستر ورموز القوة والارتفاع والمهرب والتحصين.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ سورة فاطر: الآية ٢٧.

(٢) المطروق والمضروب بالمِنْدَف –خَشَبَته الَّتِي يُطْرَقُ بِها الوَتَرُ– ليَرِقَّ ويزول تَلَبُّده. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مادة: (ندف) (٢٤/ ٣٩٤).

(٣) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١٢/ ٨٤١١)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٢/ ٢٢٢)، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني (٤/ ٥٧٩)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٤٨٩).

والغاية من تقديم الناس على الجبال: التنبيه على أن الناس هم المقصودون بالخطاب، وهم المطالبون بتأمل هذه الآيات والاعتبار بها[1].

****

٣/ ومن باب النظائر:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ نظيره في المعنى من القرآن قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[2]، وقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[3].

ونظيره من السنة قول النبي ﷺ: "مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذُبُّهُنَّ عنها، وأنا آخذ بحُجَزِكُمْ عن النار، وأنتم تَفْلتُونَ من يدي"[4].

ونظيره من أمثال العرب قولهم: أضعف من فراشة، وأذل وأجهل من جرادة[5].

ثانياً: التوفيق بين قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ وقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ

---

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٤/ ٤٦٢)، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان (١٠/ ٥٣٣).

(٢) الناس يخرجون من قبورهم بعد سكونهم كأنهم في كثرتهم وازدحامهم وانتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر، فشبههم بالجراد إذا أدركه الليل لزم الأرض، فإذا أصبح وطلعت الشمس انتشر. ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٤/ ٣١٧).

(٣) سورة الحج: الآية ٢.

(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: الفضائل – باب: شفقته ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم – رقم: ١٩ (٢٢٨٥) – (٤/ ١٧٩٠).

(٥) ينظر: جمهرة الأمثال للعسكري (٢/ ٣).

النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ على وجهين:

الوجه الأول: هما صفتان في وقتين مختلفين، الأولى: عند البعث والخروج من القبور، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيختلط ويدخل بعضهم في بعض، لا جهة لأحد منهم يقصدها، فشبههم عند ذلك بالفراش؛ لأن الفراش لا جهة له يقصدها، وإنما يدخل بعضه في بعض. الثانية: أن الناس يزالون كذلك حتى يسمعوا المنادي يدعوهم إلى المحشر والحساب فيقصدونه، فتصير لهم جهة ووجهة محددة، فشبههم في هذا الوقت بالجراد المنتشر؛ لأن الجراد له جهة يقصدها وهو منتشر، فهما صفتان للخلق يوم القيامة في موطنين: إحداهما عند البعث، والأخرى عند سماع النداء.

الوجه الثاني: قيل معنى الآيتين واحد، وشبههم بالجراد لحيرتهم واختلاطهم وكثرتهم وتموجهم، فلا يدرون من أين يأتون؟ وإلى أين يصيرون؟ كالجراد الذي لا يُدرى من أين أتى وإلى أين يذهب؟ وهو كقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾(١)، فذكر المنتشر مع لفظ الجراد، نظيره: ذكر المبثوث مع لفظ الفراش، وحال الناس يوم القيامة فيه شبه منهما(٢).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ نظيره في سورة

(١) وكقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الأجداث إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأرض عَنْهُمْ سِرَاعاً﴾ [ق: ٤٤]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

(٢) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١٢/ ٨٤١١)، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان (١٠/ ٣٧)، وروح المعاني للآلوسي (١٤/ ٨٠).

المعارج في قوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[1]، أي: كالصوف المصبوغ ألواناً؛ لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإذا بسّت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح، وذلك أوهن ما يكون من الصوف، فالجبال تضعف وتلين بعد الشدة، وتتفرق بعد الاجتماع، وتخف وتسير بعد الثقل والثبات[2].

رابعاً: علة زيادة كلمة (الْمَنْفُوشِ) في سورة القارعة دون سورة المعارج تظهر من وجوه:

١. لما ذُكرت (القارعة) في أول السورة، وهي من (القَرْعِ) أي: الضرب، ناسب ذلك ذكر النفش؛ لأن من طرائق نفش الصوف أن يُقرعَ بالعصا.
٢. لما كانت الجبال تهشم بالمقراع، وهي فأس عظيم تحطم به الحجارة، ناسب ذلك ذكر النفش أيضاً.
٣. سياق سورة القارعة وحديثها عن اليوم الآخر أهول وأشد من سورة المعارج، ففي المعارج: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[3]، لم يذكر إلا طول ذلك اليوم، وعروج الملائكة فيه. في حين قال في سورة القارعة ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ فكرر ذكرها وعَظَّمها وهوَّلها، فناسب هذا التعظيم والتهويل أن يذكر أن الجبال تكون

(١) سورة المعارج: الآية ٩.
(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٤/ ٦٠٩)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٥/ ٥١٦).
(٣) سورة المعارج: الآيات ٤ – ٧.

فيه كالعهن المنفوش، وهو وصف أعظم وأهول من أن تكون كالعهن من غير نفش.

٤. في المعارج ذكر أن العذاب واقع وأنه ليس له دافع، ووقوع الثقل على الصوف من غير دفع له لا ينفشه، بخلاف ما في القارعة، فإنه ذَكَر القرع وكرره، والقرع ينفشه وخاصة إذا تكرر، فناسب ذلك ذكر النفش.

٥. التوسع والتفصيل في ذكر القارعة حسَّن ذكر الزيادة والتفصيل فيها، بخلاف الإجمال في سورة المعارج، فلم يزد على قول: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

٦. الفواصل في السورتين تقضي بصحة ومناسبة كل كلمة لموضعها، ففي القارعة، قال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾، فناسب كلمة (المنفوش) كلمةَ (المبثوث). وفي المعارج، قال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾، فناسب (العهن) (المهل).

٧. ذِكر (الفراش المبثوث) مناسب مع ذِكر القارعة؛ لأنك إذا قرعت طار الفراش وانتشر، ولما لم يحسن ذكر (الفراش) وحده، لم يحسن ذكر (العهن) وحده.

٨. ذِكر (العهن المنفوش) مناسب لقوله: (نار حامية) في آخر سورة القارعة؛ لأن النار الحامية هي التي تذيب الجبال وتجعلها كالعهن المنفوش وذلك من شدة الحرارة، في حين وصفت النار في المعارج بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾، والشوى هو جلد الإنسان، والحرارة التي تستدعي نزع جلد الإنسان أقل من التي تذيب الجبال، وتجعلها كالعهن المنفوش.

٩. ذِكْر النار الحامية مناسب للفظة القارعة؛ لأن (القَرَّاعة) هي القداحة التي تقدح بها النار، فذكر القارعة حسَّنَ ذكر (المبثوث) مع الفراش، وذكر (المنفوش) مع الصوف، وذكر النار الحامية، فناسب بهذا آخر السورة أولها، وبالتالي زيادة (المنفوش) والتعبير بها في سورة القارعة مناسب من كل ناحية، والله أعلم[١].

خامساً: وصف الله ﷻ تغير أحوال الجبال يوم القيامة في آيات عدة، من ذلك:

١) تصير قطعاً بسبب الاندِكَاك: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[٢].

٢) تصير رَملًا متراكماً سائلاً: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[٣]، ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾[٤].

٣) تصير كالصوف المفرّق: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[٥].

٤) تنسف وتحملها الرياح فتصير كالهباء المنتشر: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[٦]، ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾[٧].

---

(١) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٥١٢)، ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل لفاضل السامرائي (ص١٩٩).

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٤.

(٣) سورة النمل: الآية ٨٨.

(٤) سورة المزمل: الآية ١٤.

(٥) سورة القارعة: الآية ٥.

(٦) سورة طه: الآية ٢٣.

(٧) سورة الواقعة: الآية ٥، ٦؟

٥) تصير سراباً: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[١].

فتصف هذه الآيات تدرج الجبال حسب الأحوال والمشاهد وطول مدة هذا اليوم ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٢]، فهو يوم هائل طويل تقع فيه تحولات وتقلبات واختلافات كثيرة، فالجبال مرة تكون منسوفة، ومرة كالعهن، ومرة تمر مر السحاب، ومرة تكون هباء منبثاً.

ويحتمل: رجوع هذه الآيات كلها إلى معنى واحد، وتصف كل آية جزءاً من حال الجبال، فهي تسير وتمشي وتمر مر السحاب يوم القيامة، وكذلك هي خفيفة جداً، وهذا كله من معاني النفش[٣].

****

٤/ ومن باب الإشارات:

أولاً: أصحابَ الدعاوى وأرباب القوة في الدنيا إذا بُعِثُوا يوم القيامة يكونون أضعفَ من كلِّ ضعيف؛ لأن القُوى هنالك تسقط، والدعاوى تَبْطُل[٤].

ثانياً: الجبال الشاهقة العظيمة تذهب وتضمحل، فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟ أليس حقيقاً أن ينخلع قلبه وينزعج لبه، ويذهل عن كل أحد؟ ولهذا قال الله عن حال الناس حينئذ: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۞

(١) سورة النبأ: الآية ٢٠.

(٢) سورة المعارج: الآية ٢٣.

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٧/ ١٧٨)، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣/ ٣١٤)، والتفسير الكبير للفخر الرازي (٣١/ ١٣).

(٤) ينظر: لطائف الإشارات للقشيري (٣/ ٧٦٠).

يُبَصَّرُونَهُمْ﴾[1]، ففي ذلك اليوم العظيم مَنْ كان في سُمُوٍّ نخوته ونُبُوٍّ صولته يلين ويستكين، ويَضْعُف مَنْ كان يَشْرُف، ويَذَلّ مَنْ كان يُذِلّ[2].

ثالثاً: الإنسان يوم القيامة ينْسلخ عن كل علاقاته الدنيوية، من قوة ومال وشأن وقبيلة، يفر من ذلك كله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[3]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[4]، فلا تُعلِّق همتك بسفاسف الأمور، وأتفه الأشياء، وفيما لا طائل من ورائه، ولا تنفق وقتك وشبابك في ما فيه هلاكك وحتفك، فثوابت الله الكونية تتبدل، فكيف بثوابتك التي تضعها لنفسك ولا ترضى لها تبديلا؟!

رابعاً: يا من عمله بالنفاق مغشوش، إنما يُنظر إلى الباطن لا إلى النقوش، فإذا هممت بالمعاصي فاذكر يوم النعوش، وكيف تُحْمَل إلى قبرٍ بالجندل مفروش، من لك إذا جُمِعَ الإنس والجن والوحوش، وقام العاصي من قبره حيران ثم مغلول مدهوش، فحينئذ يتضاءل المتكبر وتذل الرؤوس، وَيُنْصَب الصراط فكم واقع وكم مخدوش، ولا تقبل في ذلك اليوم فدية ولا تؤخذ الأُرُوش، وينقلب أهل النار في الأقذار لحافهم جمر وكذلك الفروش[5].

****

(١) سورة المعارج: الآية ١٠، ١١.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات للقشيري (٣/ ٦٢٩).

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٤.

(٤) سورة عبس: الآيات ٣٤ – ٣٧.

(٥) ينظر: التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٠٥).

٥/ ومن باب البلاغة:

أولاً: قوله: (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ) ليس خبراً عن (القارعة)، إذ ليس سياق الكلام لتعيين يوم وقوع القارعة، بل المقصود بهذا التوقيت زيادة التهويل بما أضيف إليه (يوم) من الجملتين المفيدتين أحوالاً هائلة، وثابت أن التوقيت يكون بزمان محدد معلوم، وإذا كان يوم القيامة زمانه ومَداه غير معلوم كان التوقيت لهُ بما هو مجهول إبهام؛ للتهويل والتحذير من مفاجأته، وللتشويق إلى البحث عن تقديره، فإذا باء الباحث بالعجز أخذ بالحيطة والاستعداد بما ينجيه من المصائب التي تقرع الأسماع[١].

ثانياً: في قوله: (كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) تشبيه[٢] مرسل مجمل، ذكر فيه أداة التشبيه وهي (الكاف)، وحذف وجه الشبه وهو الكثرة، والانتشار، والضعف، والخفة، والهوان، والذلة، والاضطراب، وعدم الثبات، والتطاير إلى النار، والطيش الذي يلحقهم، وركوب بعضهم بعضاً، ففي تشبيه الناس بالفراش المتفرق مبالغات شتى، وهو مَثَل في الحيرة والجهل بالعاقبة، ونظيره: (كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) حيث شبه الجبال بالصوف المندوف الملون بالألوان المختلفة، في تفرق أجزائها، وتطايرها في الجو، وخفة تناثرها[٣].

---

(١) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٥١١).

(٢) في الآيات تشبيه مطرد صورة بصورة في قوله: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، حيث شبه الناس يوم القيامة في الضعف والهوان بالفراش، لما فيه من الدقة، وضعف الحال، وفي قوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ شبه الجبال مع اختصاصها بالصلابة والقوة، بأضعف ما يكون وأرخاه، وهو الصوف؛ لأنه ألين ما يكون عند نفشه. ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلويّ (١/ ١٥٦).

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش (١٠/ ٥٦٥)، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٣٠/ ٣٧٦).

ثالثاً: تشبيه المفرد بالمقيد موجود في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ فالمشبه هنا المفرد وهو (الناس)، والمشبه به (الفراش) مقيدًا بكونه (مبثوثًا)، ونظيره: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾، فالمشبه هو الخلائق في هذا اليوم العصيب يوم القيامة، والمشبه به هو الجراد مقيداً بكونه منتشراً، ووجه الشبه الكثرة، والتدافع، وجولان بعضهم في بعض موجود في المشبه، وموجود في المشبه به[1].

رابعاً: إعادة لفظ الكون مع حرف العطف (يَكُونُ، وَتَكُونُ)، للإشارة إلى اختلاف الكونين؛ فإن أولهما كونُ إيجاد، والثاني كونُ اضمحلال، وكلاهما علامة على زوال عالم، وظهور عالم آخر. وقيل: كرَّر ذلك؛ لأن التكرير في مثل هذا المقام أبلغ في التحذير[2].

****

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٢/ ٢٢٢).

(٢) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٢/ ٢٦٧)، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٥١٣).

المبحث الثالث

الحساب والجزاء والعاقبة يوم القيامة.

إن الناظر والمتأمل والمتدبر لخواتيم سورة القارعة: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾[١]، يقف على مجموعة من المعاني والهدايات واللطائف والإشارات من أهمها ما يلي:

١/ في باب الألفاظ:

- (مَا هِيَهْ) الهاء للسكت، وذِكْرها يكرب القلب، فلا يقدر المتكلم على الاسترسال في الكلام، ويقرع الاستفهام عنها أذن السامع، فيسكت لسماع الجواب وفهمه غاية السكوت، ويصغي غاية الإصغاء، وهي ثابتةٌ في الوقف والوصل، ويجوز حذفها في الوصل أيضاً، والاختيار الوقف بالهاء؛ لاتباع المصحف والهاء ثابتة فيه، ونظيرها قوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[٢]، و﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٣]، و﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ[٤]﴾[٥].

---

(١) سورة القارعة: الآيات ٦ – ١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

(٤) سورة الحاقة: الآية ٢٨، ٢٩.

(٥) تُعد هذه الهاء طريقة في الوقف على أواخر بعض الكلم، وتكون ساكنة، ويؤتى بها بيانا للفتحة قبلها. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر: {لَمْ يَتَسَنَّهْ} و{فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} بحذف الهاء في الوصل، وقرأ حمزة ويعقوب: {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} {وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ} بحذف الهاء إذا وصلوا، وقرأ يعقوب وحده في الحاقة {كِتَابِيَهْ} [آية ٢٥] و{حِسَابِيَهْ} [آية ٢٦] بحذف الهاء إذا وصل، وقرأ الباقون بإثبات الهاء فيها إذا وصلوا، ولا خلاف بينهم في إثباتها إذا وقفوا. وللمزيد ينظر: =

٢/ ومن باب المعاني:

أولاً: لما وصف الله تعالى بعض أهوال وأحوال المراحل الأولى ليوم القيامة، وذَكَر ما يَعُمّ الناس، أتبع بذكر ما يخص كل واحد وجزاءه، فبيّن وقسم الناس إلى فريقين إجمالاً، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ وهو المؤمن الذي عظّم حق الله تعالى، وأقام حدوده، فكان له ميزان وقيمة عنده ﷻ، وثقُلَت ورجحت موازين حسناته على سيئاته، فهو في عيشة مرضية في الجنة[١]، وحياة ثابتة[١] ناعمة دائمة آمنة لينة طائعة منقادة يرضاها

=

المبسوط في القراءات العشر لابن مهران (ص١٥٠)، وشرح المفصل لابن يعيش (٥/ ١٧٥)، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٨٨)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٢/ ٢٢٤).

(١) اختلف في توجيه قوله: ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ على وجوه:

* قيل: العيشة مرضية، وليست راضية؛ لأن الذي يرضى هو صاحب العيشة، فالعيشة مفعول به، وليست فاعلاً، فاسم الفاعل هنا بمعنى اسم المفعول، وهو من إسناد اسم الفاعل إلى ضمير اسم المفعول على سبيل المجاز العقلي، والعلاقة هي المفعولية. ونظير ذلك قوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً﴾ [القصص: ٥٧]، والحرم مأمون وليس آمناً، فأسند الأمن إلى الحرم، وكان حقه أن يسند إلى أهل الحرم، فآمن هنا بمعنى مأمون.

* وقيل: هي على النسب، أي ذات رضى، كلابنٍ ورامحٍ.

* وقيل: العيشة نفسها راضية، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فالنفس البشرية نفس، والنبات نفس، والجماد نفس، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾، والمؤمن يوم القيامة يأكل اللقمة وهي راضية عنه لأنها تعلم أنه يستحقها: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، ﴿فَمَا بَكَتْ

=

صاحبها ويهنأ بها، لا موت فيها، ولا فقر، ولا مرض، ولا خوف، ولا جنون.

ولما ذكر نعيم أهل الخير أردفه عقاب أهل الشر، فقال: وأما من خفّ وزن حسناته حتى رجحت سيئاته، أو لم تكن له حسنات وأعمال يعتدّ بها وسقطت مكانته وقيمته، فمسكنه ومصيره ومرجعه ومثواه إلى جهنم، يأوي إليها كما يأوي إلى أُمّه فتضمه، فيهوي ويسقط ويطرح على أم رأسه منكوساً هالكاً، لا راحمَ له ولا شفيق عليه في هذه النار العميقة البعيدة المقر والقعر(٢).

ثم قال مستفهماً على وجه التفخيم والتعظيم والتفظيع والتهويل لأمرها: وما أشعرك أيها المخاطب ما الهاوية؟ وأي شيء يخبرك بحقيقة تلك النار السحيقة؟ فإنك تعلمها على الجملة، ولا تعلم تفصيلها وأنواع ما فيها من العقاب، لأنها خارجة عن المعهود بحيث لا تحيط بها علوم البشر.

ثم فسرها بعد إبهامها وتهويلها وبَيّن ما هي، في صورة ما يمكن البشر معرفته من وصفها فقال: هيَ نَارٌ ملتهبة شديدة الحرارة، قد حميت من الوقود عليها، فسائر النيران بالنسبة إليها ليست حامية، هذا ما تتعارفونه

=

عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾، فهذا الشيء الذي معه في الجنَّة راضٍ عنه، مّلازِمٌ له، محيط به لا ينْفكُّ عنه، فضلاً عن المتمتع بهذه العيشة الراضية المرضية، فهو في عيش ناعم منعم. ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١٢/ ٨٤١٢)، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مادة: (رضي) (٣٨/ ١٥٩)، والبلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع لحسن الجناجي (ص١٠١).

(١) في إفراد (عيشة) إشارة إلى ثباتها وعدم تغيرها.

(٢) ونظير ذلك في المعنى قوله: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥].

بينكم[1]، وأما التفاصيل فلا يعلمها إلا الله تعالى. وهذه نهاية القارعة، فتلائم أول السورة بآخرها[2].

ثانياً: اجتمع الخوف والرجاء في آيتين مقترنتين في سياق واحد وهما: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، ففيهما دعوة للعبد بأن يعيش بهما، فيكون خائفاً راجياً[3].

ثالثاً: الحديث عن ثقل الموازين وخفتها مهد إليه سباق وسياق الآيات، وظهر جلياً عند الحديث عن الجبال وثقلها وصلابتها، ثم تغير حالها إلى الخفة وتطايرها يوم القيامة، وكذلك تغير أحوال الناس والحكم عليهم ووصف

---

(١) قال رسول الله ﷺ: "ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها". رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: بدء الخلق – باب: صفة النار وأنها مخلوقة – رقم: ٣٢٦٥ – (٤/ ١٢١).

(٢) ينظر: التفسير البسيط للواحدي (٢٤/ ٢٦٥)، والنكت والعيون للماوردي (٦/ ٣٢٩)، والتفسير الكبير للفخر الرازي (٣٢/ ٢٦٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ١٦٧)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني (٥/ ٥٩٤)، وتفسير المراغي (٣٠/ ٢٢٧).

(٣) ينظر: رياض الصالحين للنووي (ص١٦٨): ونظير ذلك قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٦٧]، وقوله: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣،١٤]، وقول النبي ﷺ: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد". رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: التوبة – باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه – رقم: ٢٣ (٢٧٥٥) – (٤/ ٢١٠٩). وقوله ﷺ: "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك". رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الرقاق– باب: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك – رقم: ٦١٢٣ – (٥/ ٢٣٨٠).

أهل الفضل والعمل الصالح بالثقة والثقل والثبات والرسوخ، في مقابل وصف أهل اللهو والسوء بالخفة والعبث والرعونة والتشتت(١).

رابعاً: كما احتوت السورة على الإنذار الشديد والوصف القوي وبيان مصير المحسن والمسيء، ففيها دعوة لإبعاد الخلق عن طريق الغواية والشرّ، وسلوك طريق الهدى والحق في الحياة الدنيا حتى ينالوا الحياة الرضية والعيشة الهنيئة في الآخرة، وهو ما استهدفه الإنذار والتبشير القرآنيان بصورة مستمرة، بالإضافة إلى أن الآيات الأربع الأخيرة تعد تقريراً ضمنياً لمسؤولية الناس عن أعمالهم، وأنهم ينالون جزاءها حقاً وعدلاً وفاقاً لها(٢).

خامساً: جِئنا إلى هذه الحياة الدنيا من أجل العمل الصالح، وهذا العمل سوف يُقَيَّم تقييماً مُتناهِياً في الدّقة، على حسب نِيَّة صاحبه وهدفه، ﴿وَالعَصْرِ* إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَواْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَواْ بِالصَّبْرِ﴾(٣).

****

٣/ ومن باب النظائر:

أولاً: قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ...﴾ وما بعدها هو تفصيل لأحوال الناس في ذلك اليوم العظيم شأنه، الطويل زمانه، القريب أوانه، ونظير هذا التفصيل موجود في سورة هود، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا

(١) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٣/ ٢٩٥).
(٢) التفسير الحديث لمحمد دروزة (٢/ ١٨٧).
(٣) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٥١٣)، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن لمحمد جبل (١/ ٢٤٥).

بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ...﴾[1] وما بعدها[2].

ثانياً: نظير قوله: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ في المعنى ودليل صحته: ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن المؤمن إذا احتُضِرَ أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضية عنك إلى روح الله، وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح مسك، حتى إنهم ليناوله بعضهم بعضا يشمونه، حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح! التي جاءتكم من الأرض! فكلما أتوا سماء قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين. قال: فلَهُم أفرَحُ به من أحدكم بغائبه إذا قدم عليه. قال: فيسألونه ما فعل فلان؟ قال: فيقولون: دعوه حتى يستريح؛ فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال لهم: أما أتاكم؟ فإنه قد مات. قال: فيقولون: ذُهِبَ به إلى أُمِّه الهاوية"[3].

ثالثاً: (حَامِيَة) هنا توكيد لفظي، كما في نظيره: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[4]، وكأن المعنى: أن هذه النار مستعدة لهم أصلاً، فالناس تعودوا في الدنيا أن يجمعوا حطباً، ثم يوقدوا النار بعود وعودين، فتشتعل مرة وتنطفئ أخرى حتى تقوم، أما نار الآخرة فشيء آخر، لا تقاس بنار الدنيا[5].

---

(١) سورة هود: الآية ١٠٥.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه لمحمد الدرة (١٠/ ٧٠٦).

(٣) رواه الإمام النسائي في سننه: كتاب: الجنائز – ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه – رقم: ١٩٧٢– (٢/ ٣٨٣)، وقال المحقق: صحيح.

(٤) سورة الهمزة: الآية ٦–٧.

(٥) قال ﷺ: "اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فَأَذِنَ لها بِنَفَسَيْنِ نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فَأَشَدُّ ما تجدون في الحر وَأَشَدُّ ما تجدون من =

فان قيل: لم قال في الهمزة: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ ولم يقل ما أدراك ما هي؟ وفي القارعة قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ ولم يقل وما أدراك ما الهاوية؟ أجيب: بأن الاسم الظاهر أقوى من الضمير، وبالتالي مع الوصف الشديد جيء بالاسم الظاهر، فالنار في الحطمة أشد وأقوى، بخلاف كلمة نار حامية التي تقال كثيراً، حتى في الدنيا(١).

****

٤/ ومن باب الإشارات:

أولاً: فأمّا مَن ثقُلت موازينه بالحق المحض الذي لا يُصادم باطلاً إلاَّ دمغه، فقد دخل جنة المعارف الموصلة للحياة الطيبة، وأمّا مَن خفّت موازينه باتباع الهوى فأُمُّه نار القطيعة ينكس فيها ويُضم إليها، ويحترق فيها بالشكوك والأوهام والخواطر وحر التدبير والاختيار(٢).

ثانياً: لسان ميزان الحق هو صفة العدل، وإحدى كفتيه هو عالم الحس، والكفة الأخرى هو عالم العقل، فمن كانت مكاسبه من المعقولات الباقية والأخلاق الفاضلة والأعمال الخيرية المقرونة بالنية الصادقة ثقلت

=

الزمهرير". رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: بدء الخلق – باب: صفة النار وأنها مخلوقة – رقم: ٣٢٦٠ – (٤/ ١٢٠).

وقال ﷺ: "يُؤْتَى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زِمَامٍ، مع كل زِمَامٍ سبعون ألف ملك يجرونها". رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: التوبة – باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه – رقم: ٣٠ (٢٨٤٣) – (٨/ ١٤٩).

(١) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني (٤/ ٥٨٠)، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٥١٥).

(٢) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٧/ ٣٤٦).

كفته وأفلح وفاز بالنعيم الدائم، ومن كانت مقتنياته من المحسوسات الفانية واللذات الزائلة والشهوات الفاسدة والأخلاق الرديئة خفت كفته وهلك وخسر بحرمانه النعيم(١).

ثالثاً: توزن الأعمال بميزان الإخلاص، والأحوال بميزان الصدق، فمن ثقلت موازين قلبه بمعرفة الله وتوفيقه الأزلي فهو في عيش مشاهدته الأبدية، ومن كانت أعماله بالرياء مصحوبة لم تقبل أعماله، ومَن كانت أحواله بالإعجاب مشوبة لم ترفع أحواله، فيا عبد الله ما دمت في الدنيا فانتهز الفرصة، واتعظ وانزجر لتفوز بكل مطلوب، وتنجوا من كل مهروب(٢).

رابعاً: كلمة التوحيد لا يَثْقُل معها شيء في الميزان، والشرك يحبط كافة الأعمال، قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾(٣)، وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٤)، وقال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٥)، وقال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾(٦)، فلا يقبل ﷻ من العمل إلا ما كان صالحاً وخالصاً لوجهه الكريم(٧).

خامساً: سورة القارعة تذم العامل لدنياه دون آخرته، وترسخ لفكرة العدل والاستحقاق في الجزاء، فمن انشغل بالدنيا عن الآخرة فاقترف

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي (٤/ ٣٣٧).
(٢) ينظر: لطائف الإشارات للقشيري (١/ ٥٢٠).
(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٣.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٨٨.
(٥) سورة المائدة: الآية ٥.
(٦) سورة الزمر: الآية ٦٥.
(٧) ينظر: روح المعاني للآلوسي (٤/ ٣٢٤) (٨/ ٣٧٤).

المعاصي والآثام فهو مستحق للنار، ومن التزم بالتوجيهات الإلهية والنبوية والزيادة من الأعمال الصالحة فهو مستحق للجنة، فالويل لمن أضاع فرصة العمر، وقَصَّر في استغلال فرص الخير، واستخف بالحسنات، واستهان بالذنوب حتى تراكمت عليه فألقته في الهاوية.

سادساً: يا من أركان إخلاصه واهية، أما لك من عقلك ناهية، إلى متى نفسك ساهية، معجبة بالدنيا زاهية، النار بين يديك وتكفي داهية، أين من عَتَى وتجبر، أين من عَلا وتكبر، ماذا أعد للحضرة السامية، لو رأيت العاصي وقد شقي، واشتد عطشه وما سُقِي، وَشَرَرُ النار إليه يرتقي، فمن يَتَّقِي تلك الرامية. لو رَأَيْتَهُ يقاسي حرها ويعاني ضُرَّهَا، جحيمها وَقُرَّهَا، والله لا يدفع اليوم شرها إلا عين هامية، أسمعت يا من معاصيه ناميه، لقد كان المتقون يقلقون ويخافون ربهم ويشفقون، وكم جرت من عيون القوم عيون، كانت جفونهم دائمة دامية من خوفهم من نار حامية، أجارنا الله بكرمه منها، ووفقنا لما ينجي عنها، وجعلنا بفضله ممن قام بما يُؤْمَر، واجتنب ما عنه يُنْهَى، فكم له من نعم سامية[١].

سابعاً: يا من أغصان إخلاصه ذاوية، وصحيفته من الطاعات خاوية، لكنها لكبار الذنوب حاوية، يا من همته أن يملأ الحاوية، كم بينك وبين البطون الطاوية، كم بين طائفة الهدى والغاوية، فذِكْر الحساب أطار عن أعين المتقين النُّعَاس، ولتثقيل الميزان فُرِّغَتْ أكياس الْكُيَّاس، فاعتبروا واعملوا أيها الناس، واحذروا الوسواس الخناس[٢].

****

(١) ينظر: التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٠٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق (١/ ٣٠٦).

٥/ ومن باب البلاغة:

أولاً: من بلاغة القرآن تأخير من سيفصل الكلام عنه، فأخر هنا التفصيل عن النار، واستفاض في بيان خبر من خفت موازينه أكثر ممن ثقلت موازينه؛ لأن المقام مقام اتعاظ واعتبار وإنذار وعظة، وألفاظ الآيات من بدايتها منذرة بالإنذار(١).

ثانياً: الخفة يقابلها الثقل، ويأتيان في المدح والذم، ومن أمثلة الخفة مدحاً والثقل ذماً قوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾(٢)، وقوله: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾(٣)، وقولهم: كلامه خفيفٌ أو ثقيلٌ، ولسانه خفيفٌ أو ثقيلٌ، وينعكس الحال فيكون الثقل مدحاً والخفة ذماً كقوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾(٤)، و﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾(٥).

ثالثاً: قدم ﷻ هنا ذكر من ثقل ميزانه وبدأ به قبل ذكر من خف ميزانه؛ من باب تقديم جانب الرضا والرحمة والإسراع به في هذا الموقف المخيف قبل جانب السخط والغضب، فرحمته دائماً تسبق غضبه.

رابعاً: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ نكَّرَ الهاوية في محل التعريف؛ للتفخيم، والتهويل، وإشعاراً بخروجهم عن المعهود؛ ثم بَعد هذا الإبهام قررها بوصف هائل يوضح غاية عمقها، وبعد مهواها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾،

---

(١) ينظر: عنايه القاضي وكفاية الراضي، حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي (١/ ٢٠).

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٩.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٨.

(٥) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (١/ ٥١٦).

فقد روي: أن داخلها يهوي فيها سبعين خريفاً، وخصها البعض بالباب الأسفل من النار، فانتزع منها هاوية أخرى مثلها في شدة العمق وبُعد المهوى[١]، وهذا نوع من أنواع البديع المعنوي، يسميه علماء البلاغة: التجريد[٢]، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾[٣]؛ لأن النار هي دار الخلد بعينها، لكنه انتزع منها داراً أخرى وجعلها مُعَدَّة في جهنم للكفار؛ تهويلًا لأمرها، ومبالغة في اتصافها بالشدة[٤].

خامساً: الأصل في الكلام الحقيقة، وقد يصار إلى المجاز لنكتة بلاغية، ومن ذلك المجاز العقلي، وعلاقته المشابهة[٥]، كقوله: (فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ)، ومعلوم أن الأمهات هنّ الأصل في السكون والاستقرار، فتسمية

---

(١) عن أبي هريرة ﷺ، قال: "كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة، فقال النبي ﷺ: تدرون ما هذا؟ " قال قلنا: الله ورسوله أعلم. قال "هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها". رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: الجنة، وصفة نعيمها وأهلها- باب: في شدة حر نار جهنم، وبعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين – رقم: ٣١ (٢٨٤٤) – (٤/ ٢١٨٤). وقال النبي ﷺ: "ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها"، سبق تخريجه (ص: ١٦٩).

(٢) وهو: أن ينتزع المتكلم الأديب من أمر ما ذي وصف فأكثر أمرا آخر فأكثر مثله في الصفة أو الصفات على سبيل المبالغة. ينظر: البلاغة العربية لابن حَبَنَّكَة الميداني (٢/ ٤٣١).

(٣) سورة فصلت: الآية ٢٨.

(٤) ينظر: روح المعاني للآلوسي (١٥/ ٤٤٩)، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي (ص٣٧٩).

(٥) بأن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة لمشابهته له. ينظر: البلاغة العربية لابن حَبَنَّكَة الميداني (٢/ ٢٢٢).

الأم بـ (الهاوية) مجاز، والمعنى: كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له، كذلك النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع.

وإذا تأملنا السياق[1] يتجلّى لنا معنى لطيف، وهو أن الأعمال المعنوية لما جسّمت ووزنت بموازين حسية، فإذا هي خفاف ترتفع بها كفة الموازين، حينئذٍ لا يقابل خفتها وارتفاعها إلا هاوية سحيقة منخفضة في الدرك الأسفل من النار، التي لا يكون للمجرم في ذلك الهول أُمّ سواها يلجأ إليها ويعتصم بها[2].

سادساً: جاءت السورة موجزة قصيرة، مع دلالة واسعة، ومضمون وإفادة كثيفة، ومن مظاهر ذلك الاحتباك[3] في قوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ مع ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، فحذف من الأول (فأمه الجنة) وذكر فيها (عِيشَة رَّاضِيَة)، وحذف من الثاني (فهو في عيشة ساخطة)، وذكر (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ)، فذكر العيشة أولا دليلاً على حذفها ثانياً، وذكر الأم ثانياً دليلاً على حذفها أولاً، فحذف من كل نظير ما أثبته في الآخر[4].

---

(١) (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ * فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ * وَما أَدْراكَ ما هِيَهْ * نارٌ حامِيَةٌ).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٢٥٩)، والواضح في علوم القرآن لمصطفى البغا، ومحيى الدين مستو (ص٢٠٣).

(٣) وهو أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابلة في الأواخر، ويُحْذَفَ من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابلة في الأوائل. ينظر: البلاغة العربية لابن حَبَنَّكَة الميداني (٢/ ٥٤).

(٤) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم للخطيب الشربيني (٤/ ٥٨٠)، وتفسير ابن عرفة (٤/ ٣٤١).

سابعاً: في الآيات أسلوب المقابلة[١]: فقوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشة راضِيَةٍ﴾، مع مقابله ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ فيه مقابلة لفظية في: (ثَقُلَتْ * خَفَّتْ)، بالإضافة إلى مقابلة المعاني: حيث قابل بين الصالحين والطالحين في ثقل الموازين وخفتها، وقابل بين أحوالهم يوم القيامة، فللطائفة الأولي الفوز والسرور، وللطائفة الثانية الضيق والشقاء[٢].

ثامناً: احتوت السورة الكريمة على مجموعة من الموضوعات البلاغية البيانية والمحسنات البديعية كالتكرار، والإظهار في موضع الإضمار، والإجمال والتفصيل، والتشبيه، والتقديم والتأخير، والإيجاز والحذف، والمقابلة، وظهر بعضها في أكثر من موضع، ونضيف إلى ذلك:

أ- السجع المرصع[٣]: وظهر هذا في: (الْمَبْثُوثِ * الْمَنفُوشِ)، و(الْقَارِعَةُ * مَوَازِينُهُ * رَاضِيَةٍ * هَاوِيَةٌ * مَا هِيَهْ * حَامِيَةٌ) وتوافق الفواصل واضح في الحرف الأخير، وجاء بعضها على هيئة الضمير، وهذا لا نظير له في القرآن الكريم[٤].

(١) وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب. ينظر: البلاغة العربية لابن حَبَنَّكَة الميداني (٢/ ٣٧٨).

(٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص٨٨)، وروح المعاني للآلوسي (٥/ ١٢٩).

(٣) وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية. ينظر: البلاغة العربية لابن حَبَنَّكَة الميداني (٢/ ٥٠٥).

(٤) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٣٠/ ٣٧٦).

ب- التكرار: وظهر في أربعة مواضع من السورة[١]: (الْقَارِعَة * الكون * أَمَّا مَنْ * مَوَازِينُهُ)، ويؤتى به مع الإيجاز والقِصَر ترسيخاً للمعنى وتقريراً وإقناعاً، وقد أعطى هنا معنى مهماً ألا وهو التعظيم[٢].

ج- الإجمال والتفصيل ظهر في ستة مواضع، من بينها:

١. عنوان السورة (القارعة): فهو مترجم ومجمل لمضمون ما فيها من معاني ومقاصد وتفصيلات.

٢. براعة الاستهلال: بالافتتاح بلفظ القارعة، وما فيه من تشويق وتهويل وتفخيم لمعرفة تفاصيل ما وراء هذا المفتتح.

٣. الاستفهام وتكراره للدلالة على الإجمال وزيادة التشويق والتهويل.

٤. التفصيل والبيان لأحداث القارعة في قوله: (يوم يكون...) وما بعده.

٥. استعمال أداة التفصيل (أما) لبيان جزاء الناس[٣].

٦. الإجمال في قوله: (هَاوِيَة) والاستفهام عنها، ثم التفصيل وبيان هذا الإجمال بقوله: (نَارٌ حَامِيَة)[٤].

---

(١) ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوث * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (١٠/ ١٩٤).

(٣) من الطرائق التعبيرية المتنوعة استعمال الإجمال والتفصيل: وظهر هذ في استعمال (أما) التفصيلية، والتعبير بعبارة (ما أدراك) التي أفادت دلالة الإجمال بسبب التعظيم والتفخيم للمشهد المتحدّث عنه، ثم يعقبه التفصيل ليكون أكثر بياناً وترابطاً، وأوقع في نفس المتلقي من استعمالها بدلالة التفصيل ابتداء.

(٤) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٢/ ٢٦٦)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني (٥/ ٥٩٤)، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٥١٣).

د- حصل في السورة تهويل شديد بثمانية طرق، وهي:

١. الابتداء باسم القارعة المؤذن بأمر عظيم (الْقَارِعَةُ).
٢. الاستفهام المستعمل في التهويل (مَا الْقَارِعَةُ).
٣. الإظهار في مقام الإضمار أول مرة زيادة في تعظيم أمره (مَا الْقَارِعَةُ).
٤. الاستفهامُ عما ينْبئ بحقيقة القارعة (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ).
٥. توجيهُ الخطاب إلى غير معين، فجُعل لكل من يصلح له (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ).
٦. الإظهار في مقام الإضمار ثاني مرة (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ)، (يَكُونُ النَّاسُ ... وَتَكُونُ الْجِبَالُ).
٧. التوقيتُ بزمان مجهولٍ حصوله (يَوْمَ).
٨. تعريف ذلك الوقت بأحوال مهولة تقشعر منها الجلود[١].

****

(١) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٥١٢)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٤٨٩).

المبحث الرابع

ميزان يوم القيامة، حقيقته وحكمته.

أولاً: عرض بعض الآيات والأحاديث والآثار المتحدثة عن الميزان والموزون:

أ- الآيات:

١. **قال تعالى:** ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[1].

٢. **قال تعالى:** ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[2].

٣. **قال تعالى:** ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[3].

٤. **قال تعالى:** ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨، ٩.

(٢) سورة الكهف: الآيات ١٠٣ - ١٠٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٠٢، ١٠٣.

ب- الأحاديث:

١. قال النبي ﷺ: "يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويوضع الصراط مثل حد المُوسَى، فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقول: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"(١).

٢. عن عائشة رضي الله عنها: "أنها ذكرت النار، فبكت، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار، فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: أَمَّا في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقال: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه، أم في شماله، أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم"(٢).

٣. عن أنس بن مالك ﷺ قال: "سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل، قال: قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال:

---

(١) رواه الإمام الحاكم في مستدركه: كتاب: الأهوال، قال الله تعالى: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ...} – رقم: ٨٧٣٩ – (٤/ ٦٢٩). وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الإمام الذهبي: على شرط مسلم.

(٢) رواه الإمام أبو داوود في سننه: كتاب: السنة – باب: في ذكر الميزان – رقم: ٤٧٥٥ – (٧/ ١٣٣). وقال الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح.

فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن"[(١)].

ج- الآثار:

١. وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، وفيها: "وحق لميزان لا توضع فيه إلا السيئات أن يخف"[(٢)].

٢. قال أنس بن مالك ﷺ: "إنّ مَلَكًا مِن ملائكة الله ﷻ موكّل يوم القيامة بميزان ابن آدم، فيجاء به حتى يُوقف بين كفتي الميزان، فيُوزن عمله؛ فإن ثَقُل ميزانه نادى الملائكة بصوت يُسمع جميع الخَلْق باسم الرجل: ألا سَعِد فلان سعادةً لا شقاوة بعدها، وإنْ خفّتْ موازينه ينادي الملائكة: ألا شَقِي فلانٌ شقاوةً لا سعادة بعدها"[(٣)].

٣. قال حذيفة بن اليمان ﷺ: "صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام"[(٤)].

٤. قال مقاتل بن سليمان: "﴿وأَمّا مَن خَفَّتْ مَوازِينُهُ﴾ بسيئاته، وهو الشّرك؛ لأنه لا يرى شيئًا مما كسب إلا صار كالرّماد، فاشتدتْ به الريحُ في يوم شديد الريح، وكما أنه ليس في الأرض شيء أخبث مِن الشّرك فهكذا ليس شيء أخفّ من الشّرك في الميزان، و«لا إله إلا الله» ثقيلة،

---

(١) رواه الإمام الترمذي في سننه: أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ - باب: ما جاء في شأن الصراط- رقم: ٢٤٣٣ - (٤/ ٦٢١): وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال المحقق: حديث صحيح.

(٢) سبق تخريجه (ص: ١٣٩).

(٣) ينظر: التوهم في وصف أحوال الآخرة للحارث المحاسبي (ص٢٣)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (١٠/ ٢٧٥).

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٢/ ٣١٠)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٣/ ٤١٨).

وصاحبها ثقيل كريم رزين عند الله ﷻ، فيأتي صاحب التوحيد بأعماله الصالحة، فيَثقل ميزانُه، ويأتي صاحب الشّرك بأعماله الطالحة، فلا تكون له حسنة توزن معه، فهو خفيف، وحُقّ لميزان لا يقع فيه الحقّ أن يَخفّ؛ لأنّ الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وَبِيءٌ"[١].

٥. يروى عن عيسى عليه السلام أنّه سُئل: ما بال الحسنة تثقل علينا والسيئة تخف علينا؟ فقال: لأنّ الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها، فلذلك ثقلت عليكم وعادت في مكروهكم، فلا يحملكم ثقلها على تركها، فإنّ بذلك ثقلت الموازين يوم القيامة، والسيئة حضرت حلاوتها، وغابت مرارتها فلذلك خفت عليكم وعادت في محبوبكم، ولا يحملكم عليها خفتها، فإنّ بذلك خفت الموازين يوم القيامة[٢].

****

ثانياً: أصل كلمة (ميزان) بالواو (مِوْزَان)، ثم قلبت ياء؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، ولذلك لما تحركت في الجمع وزالت الكسرة قبلها رجعت إلى أصلها، نحو: ميقاتٍ ومواقيت، وميعادٍ ومواعيد[٣]، وقد وردت كلمة (مَوَازِينهُ) في أكثر من آية بصيغة الجمع، وتنوعت الأقوال في توجيه ذلك، من أهمها:

١) قيل: هي جمع ميزان، أطلق عليه اسم الجمع؛ نظراً لاختلاف الموزونات، وتجدّد الوزن، وكثرة الموزون لهم، وأنواع الموزونات من

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٨١٢).

(٢) ينظر: النكت في القرآن الكريم لأبي الحسن المجاشعي (ص٥٧٠)، وإعراب القرآن للأصبهاني (ص٥٤٦).

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: (وزن) (١٣/ ٤٤٦)، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، مادة: (وزن) (٤/ ٣٠٨).

الأعمال وتعددها في ميزان واحد، والتي لا يثقل منها ولا يكون له قيمة إلا ما رضيه رب العباد، ونظير ذلك: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[1] وإنما هو هلال واحد.

٢) قيل: هي جمع ميزان، وهناك أكثر من ميزان، فيجوز أن يكون لكل واحد يوم القيامة ميزاناً، أو يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله، ولا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان آخر، ويجب إجراء اللفظ على حقيقته، فكما لم يمتنع إثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع إثبات موازين بهذه الصفة، فما الموجب لترك الظاهر والمصير إلى التأويل.

٣) قيل: هي جمع موزون، على أن كل جزء منه بمنزلة ميزان، وأراد بالموازين الأعمال الموزونة.

٤) وقد يكون الأمر شيئاً آخر مما يعلمه ربنا ولا نعلمه، لكننا نؤمن بأن عند الله تعالى موازين، فالذي يزن هو ربك، ومهمتك العمل، والعلم بأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره أو مثقال ذرة شراً يره[2].

****

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٦/ ٣٢٩)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، مادة: (وزن) (٩/ ١٠٩)، والبرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرماني (ص٢٥٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ١٦٦)، ولسان العرب لابن منظور، مادة: (وزن) (١٣/ ٤٤٦).

ثالثاً: اختلف العلماء في بيان حقيقة ميزان يوم القيامة على قولين:

القول الأول: ذهب أكثر العلماء إلى أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية دلت على أن هناك ميزاناً حقيقياً يوم القيامة، ثم اختلفوا في تحديد الموزونات على ثلاثة اتجاهات:

١) يوزن الإنسان بذاته وشخصه: ودليله موجود في سورة الكهف: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[(١)]، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾"[(٢)]. وورد أن ابن مسعود ﷺ كان يجتني سواكاً من أراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تَكْفَؤُه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله مم تضحكون؟ قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد[(٣)].

٢) توزن الأعمال: والله ﷻ قادر على أن يقلب ما ليس بجسم فيكون جسماً، فالأعمال ذاتها تتجسد، وقد جاء ما يدل على هذا، كحديث الترغيب في قراءة الزهراوين –البقرة وآل عمران– وأنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان[(٤)]، وحديث أن عمل الإنسان يتجسم له في

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٥.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير – سورة الكهف – باب: {أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم} الآية – رقم: ٤٧٢٩ – (٦/ ٩٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة – مسند عبد الله بن مسعود ﷺ – رقم: ٣٩٩١ – (٧/ ٩٩): وقال المحقق: صحيح لغيره.

(٤) قال ﷺ: "اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، تحاجان =

صورة إنسان طيب الريح، وكذلك العمل الخبيث[١]، وحديث أن القرآن يتمثل لصاحبه في قبره[٢]، وما جاء في بعض الأحاديث أن التسبيح والحمد وحسن الخلق يوضعون في الميزان[٣]، وحديث أنس بن مالك

=

عن أصحابهما". رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها – باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة – رقم: ٢٥٢ (٨٠٤) – (١/ ٥٥٣).

(١) حديث طويل جاء فيه: "إن الرجل المسلم إذا كان في قُبُل من الآخرة وانقطاع من الدنيا جاء ملك الموت فقعد عند رأسه... وَيَمْثُل له رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك وجه يبشر بالخير؟ قال: فيقول أنا عملك الصالح ..." وذكر عكسه في شأن الفاجر. رواه الإمام الحاكم في مستدركه: كتاب: الإيمان – حديث معمر – رقم: ١٠٧ – (١/ ٩٣). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وله شواهد على شرطهما يستدل بها على صحته. وقال الإمام الذهبي: على شرطهما.

(٢) قال رسول الله ﷺ: "يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، يقول: أنا الذي أسهرت ليلك، وأظمأت نهارك". رواه الإمام أحمد في مسنده: حديث عبد الله بن مالك ابن بحينة – حديث بريدة الأسلمي – رقم: ٢٢٩٧٦ – (٣٨/ ٧٦)، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٣) قال ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده". رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الدعوات – باب: فضل التسبيح – رقم: ٦٤٠٦– (٨/ ٨٦). وقال ﷺ: " الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان". رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: الطهارة – باب: فضل الوضوء – رقم: ١ (٢٢٣) – (١/ ٢٠٣). وقال ﷺ: "ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق". رواه الإمام أبو داوود في سننه: كتاب: الأدب – باب: في حسن الخلق – رقم: ٤٧٩٩ – (٧/ ١٧٧). وقال الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح.

الذي جاء فيه: "إنّ مَلَكًا مِن ملائكة الله ﷻ موكّل يوم القيامة بميزان ابن آدم، فيجاء به حتى يُوقف بين كفتي الميزان، فيُوزن عمله..."[(١)].

٣) توزن الصحائف وسجلات الأعمال: ودليله ما جاء في حديث البطاقة المشهور، قال رسول الله ﷺ: "يُصَاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فَيُنْشَر عليه تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول الله ﷻ: هل تنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب، ثم يقول: ألك عذر، ألك حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال: فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة"[(٢)]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ...[(٣)]﴾[(٤)].

الجمع والاختيار: بعد هذا العرض ثبت أن هناك ميزاناً حقيقياً يوم القيامة، يوزن به العباد وأعمالهم وصحائفهم، الثلاثة كلها توزن بقدرة

---

(١) سبق تخريجه (ص: ١٨٣).

(٢) رواه الإمام ابن ماجة في سننه: أبواب: الزهد – باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة – رقم: ٤٣٠٠ – (٥/ ٣٥٦)، وقال الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٣، ١٠.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٢/ ٣١٢)، والتفسير الكبير للفخر الرازي (٣٢/ ٢٦٨)، وروح المعاني للآلوسي (١٥/ ٤٤٨)، والعذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/ ٧٣).

الله ﷻ، وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ، يقول الإمام ابن كثير: "وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم"(١).

القول الثاني: ذهب إليه بعض العلماء كمجاهد والضحاك والأعمش، فروي عن مجاهد قوله: "ليس ميزان، إنما هو مَثَلٌ ضُرِب"(٢)، وقالوا: إن الميزان في الجملة القرآنية تمثيلي، يعني: القضاء بالحق، والحكم بلا ظلم، وعبر بذلك؛ لأن الناس يتعارفون أن الميزان والوزن أعدل شيءٍ، ولا يعرفون أمراً أكثر تحريراً منه، فهو أظهر الآلات في ذلك، واستعماله بهذا المعنى شائع في اللغة، فاستعير للعدل وتحرير النظر لفظة الوزن والميزان، كما استعار ذلك أبو طالب في قوله:

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لَا يُخِسّ شَعِيرَةً * لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ**(٣)

وكذلك استعير الثقل والخفة لكثرة الحسنات وقلتها(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٩٠).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٤/ ٥٧٥).

(٣) هذا البيت من قصيدة قالها أبو طالب وواجه بها قريشاً في أمر رسول الله ﷺ، وقال فيها إنه غير مسلم رسول الله ﷺ ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه، يقول قبل البيت:

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ ونَوْفَلا * عُقُوبَةَ شَرّ عَاجِلا غَيْرَ آجِلِ**

القسط بالكسر: العدل. وخس يخس: إذا نقص وخف وزنه فلم يعادل ما يقابله. وله أي: للميزان شاهد أي: لسان من نفسه أي: من نفس القسط. غير عائل: صفة شاهد، أي: غير مائل. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٤٥)، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي (٢/ ٧١).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٢/ ٣٧٥)، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (٤/ ٣٠٨)، والتفسير الحديث لمحمد دروزة (٢/ ١٨٦).

والحق أن الميزان حقيقي، وهو الظاهر والراجح، قال الإمام الزجاج: "هذا سائغ من جهة اللسان، والأولى أن نتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان"(١)، ثم قال الإمام القرطبي معقباً: "وقد أحسن الإمام الزجاج فيما قال، إذ لو حمل الميزان على هذا فليحمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وهذا كله فاسد؛ لأنه رد لما جاء به الصادق ﷺ، وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصاً"(٢).

ومن أجمل ما قيل في تحرير المسألة ما ساقه العلامة ابن عطية مرجحاً للميزان الحقيقي: "وهذا القول أصح من جهات، أولها: أن ظواهر كتاب الله ﷻ تقتضيه، وحديث الرسول ﷺ ينطق به، وجهة أخرى: أن النظر في الميزان والوزن والثقل والخفة المقترنات بالحساب لا يفسد شيء منه ولا تختل صحته، وإذا كان الأمر كذلك فلمَ نخرج من حقيقة اللفظ إلى مجازه دون علة؟ وجهة ثالثة: وهي أن القول في الميزان هو من عقائد الشرع الذي لم يعرف إلا سمعاً، وإن فتحنا فيه باب المجاز غمرتنا أقوال الملاحدة والزنادقة في أن الميزان والصراط والجنة والنار والحشر ونحو ذلك إنما هي ألفاظ يراد بها غير الظاهر، فينبغي أن يجري في هذه الألفاظ إلى حملها على حقائقها، وأما (الثقل) و(الخفة) فإن الآثار تظاهرت بأن صحائف الحسنات والسيئات توضع في كفتي الميزان فيحدث الله في الجهة

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣١٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ١٦٥)، وينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ص٧٢٤).

التي يريد ثقلاً وخفة على نحو إحداثه ذلك في جسم رسول الله ﷺ في وقت نزول الوحي عليه[1]، ولا بد لنا أن نعلم أن الثقل الحادث مع الحسنات إنما يتعلق بجسم، إذ العرض لا يقول بالعرض، فجائز أن يحدث الثقل في الصحائف وهو أقربها إلى الظن، وجائز أن يحدث في ذلك من الأجسام المجاورة لتلك الحال"[2].

****

رابعاً: الناس في موازنة الأعمال على ثلاثة أضرب:

١. منهم من ترجح حسناته على سيئاته، فيؤمر به إلى الجنة.

٢. ومنهم من ترجح سيئاته على حسناته، فيؤمر به إلى النار، وهم على صنفين: الأول: المؤمن العاصي ويكون تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه بإدخاله النار بقدر ذنوبه من غير خلود، ثم

(١) يقول زيد بن ثابت: أملى علي رسول الله: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله}. فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلا أعمى، فأنزل الله على رسوله، وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن تَرُضَّ فخذي، ثم سُرِّيَ عنه، فأنزل الله: {غير أولي الضرر}. رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الجهاد والسير – باب: قول الله تعالى: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر...} – رقم: ٢٦٧٧ – (٣/ ١٠٤٢).

وعن أسماء بنت يزيد، قالت: إني لآخذة بزمام الْعَضْبَاء –ناقة رسول الله – إذ أنزلت عليه المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق بِعَضُد الناقة. رواه الإمام أحمد في مسنده: مسند القبائل – حديث أسماء بنت يزيد – رقم: ٢٧٥٧٥ – (٤٥/ ٥٥٧). قال المحقق: حديث حسن لغيره.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٢/ ٣٧٥).

يخرج منها إلى الجنة، والثاني: الكافر يدخل النار خالد فيها أبداً لخفة موازينه وخلوها من الحسنات.

٣. ومنهم من لا ترجح إحداهما على الأخرى، وهم أصحاب الأعراف، يحاسبون حساباً يسيراً ثم ينالهم الله برحمته إذا شاء فيدخلهم الجنة، وجاء ذكرهم في قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ[١]﴾[٢].

****

خامساً: الحكمة من الوزن والميزان مع علم الله بمقادير كل شيء تتجلى فيما يلي:

١) إظهار العدل الإلهي، وأن الله لا يظلم مثقال ذرة.

٢) امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وإقامة الحجة عليهم في الآخرة.

٣) ما اقتضته حكمة التنزيل من تقريب أوصاف ومشاهد الآخرة بما ألفه الناس في دنياهم، فقد اعتادوا على وزن الأشياء لمعرفة مقاديرها وقيمها واستيفاء حقوقهم فيها حسب نتيجة الوزن واعتبار ذلك هو مقتضى العدل، فعملية الوزن بالميزان تجري على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير، وتجسيم المعاني في صور حسية، ومشاهد ذات حركة.

٤) تعريف العباد ما لهم من حسنة وسيئة، وما عند الله من جزاء على الخير والشر.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٦.

(٢) وللمزيد ينظر: الغنية لطالبي طريق الحق ﷻ لعبد القادر الجيلاني (١/ ١٥٣)، وتحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل لعقيل القضاعي (١/ ٢٨٦).

٥) جعل ذلك علامة ظاهرة لأهل السعادة والشقاوة في الآخرة، فيظهر ذلك الرُّجْحَان لأهل الموقِف، فمن رجحت حسناته ازداد فَرَحُه وسُرُورُه، ومن كان بالضِّدّ فيزداد غمُّه وخسرانه.

فالوزن بالميزان، هو نظير إثبات الله إياها في أم الكتاب، واستنساخه ذلك في الكتب من غير حاجة إلى ذلك، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك، وإنما فعل ذلك تعالى؛ احتجاجاً منه على خلقه، وتقريعاً لهم بما عملوا، وهذا مثل استنطاق أيديهم وأرجلهم بما عملوا في الدنيا، حجة منه عليهم: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[١]، ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢]، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[٣]﴾[٤].

****

سادساً: حكم الايمان بالميزان: في الآيات الكريمة إشارة إلى الوزن والميزان، وهو مما يجب الايمان به حقيقةً، ولا يكفر منكره، ولا نبحث فيما وراء ذلك مما لم يثبت عن الله تعالى ورسوله ﷺ، ونكل ما وراء ذلك إلى علام الغيوب، فنؤمن بالميزان كما ورد في القرآن، ونفوّض حقيقة المراد به إلى الله تعالى، دون أن ندري كيفية وزنه، وتقديره، ولا نسأل كيف يزن؟ ولا

(١) سورة الإسراء: الآية ١٤.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٨، ٢٩.

(٣) سورة يس: الآية ٦٥.

(٤) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٤/ ٢٢٨٥)، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٢/ ١٠٣)، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/ ١٨٢).

كيف يقدر؟ فمسائل الغيب عامة ومسائل القيامة وأخبارها تؤخذ مسلمة، ويؤمن بها كما ورد بها الوحي، وعلمها ومعرفة كنهها وحقيقتها مما استأثر الله به.

ويكفي معرفة المقصودُ وهو: عدم فوات شيء من الأعمال، وأن الله قادر على أن يجعل ذلك يوم القيامة بآلة أو بعمل الملائكة أو نحو ذلك، فوزن الأعمال، أو وزن صحائفها، أو وزن الصور الجميلة كل ذلك أمر ممكن لا يترتب على فرض وقوعه محال، فوقوع شيء من ذلك لا يعجز الله تعالى، ولا يقف أمام قدرته الغالبة[١].

****

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي (١٥/ ٤٤٨)، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٥١٣)، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٣٠/ ٣٧٨).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات، وأُصَلِّي وأُسَلِّم على خير الأنام نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعد،

ففي نهاية هذا البحث أَحمَدُ الله تعالى على أَنْ يَسَّرَ لي كتابته، وجَمْع ما فيه، ومن خلال دراسة موضوع: فوائد وهدايات ولطائف تفسيرية في سورة القارعة المكية، وَقَفْتُ على مجموعة من النتائج، وبعض التوصيات التي أَدعُو إليها:

أولاً: أهم النتائج التي تَوَصَّلتُ إليها أُلَخصُهَا في النقاط التالية:

١) أَظهَر البحث بعض جوانب أهمية دراسة سور القرآن منفردة، بجمع واستخراج بعض معانيها وهداياتها ولطائفها وإشاراتها القرآنية والتفسيرية، وتقديمها كمادة أساسية لإبراز إعجاز وإبداع وبيان جماليات القرآن الكريم، وأثر ذلك علمياً، وسلوكياً، وروحياً على القارئ والمتلقي.

٢) وردت سورة القارعة المكّيّة بين سور قصار المفصل، وتعد السورة الثلاثين (٣٠) في الترتيب النزولي، فقد نزلت قبل سورة القيامة، وبعد سورتي التين وقريش.

٣) اتفقت المصاحف، وكتب التفسير، وكتب السنة على تسميتها بـ (سورة القارعة)، ولم يرو شيء في تسميتها من كلام الصحابة والتابعين، وقد أُخذ اسمها من مفتتحها، وهي الآية الأُولى فيها.

٤) من أهم خصائص السورة: أنه لا ناسخ ولا منسوخ فيها، ولم يذكر فيها لفظ الجلالة، أو أي اسم من أسماء الله وصفاته.

٥) لم يرد في بيان فضلها أحاديث صحيحة صريحة، لكن صحت بعض الأحاديث والآثار والأقوال المتعلقة بالسورة أو بعض معانيها، معظمها

يدور حول ما تحدثت عنه من أهوال ومعاني مخيفة شديدة، وحال بعض السلف عند تلاوتها أو سماعها.

٦) كشف البحث عن تميز بعض مفردات السورة كـ (القارعة، الفراش، المبثوث، العهن، المنفوش، ما هيه...) بخصائص عدة على مستوى نسيجها الصوتي، والصرفي، والاستعمالي، واتساقها وتناسبها مع المعنى والنظم، وكل ذلك من أجل إظهار بعض وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

٧) أتت لفظة (القارعة) على صيغة اسم الفاعل وهذا من أبرز ملامح التصريف في هذه اللفظة، وعُدت اسماً من أسماء يوم القيامة؛ لتضمنها الإشارة إلى الصيحة، واصطكاك الأجرام العلوية والسفلية وتغيرها من حالٍ إلى حالٍ، فضلاً عن إفزاع القلوب والأسماع بفنون الأهوال، وإنزال الخزي بأعداء الله.

٨) جاءت سورة القارعة بين مجموعة سور –من الزلزلة إلى الهمزة– تتحدث وتدور في سياق الترغيب والترهيب، وتبرز قضية الإنذار والتخويف من القيامة ومشاهدها وأحوالها من حساب وجزاء؛ لعل العباد يعقلون، فينتبهوا لما بعد هذه الحياة المادية، ويستعدوا للحياة الحقيقية.

٩) بَدأَت السورة بكلمة مفردة مبهمة: "القارعة"، ثم أعقَبها سؤال التَّهويل والتعظيم والتخويف والترهيب: "ما القارعة؟" ثم أجاب بسؤال التَّجهيل والتعجيز: "وَما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ؟" ثم بين أماراتها وأحوال الناس وقت وقوعها، ثم أتبع بذكر ما يخص كل واحد وجزاءه.

١٠) تحدثت السورة بصيغتي الوعد والوعيد عن البعث، وبيان عِظم النهايات، والحساب، وتقسيم الناس، والمصير، وعلة استحقاق الجزاء، فأظهرت حقيقة القيامة، ومقدماتها، وما يقع فيها، وما تنتهي إليه.

١١) ضم الله ﷻ بين حال الناس وحال الجبال، وقرن بينهما في سياق متصل للتنبيه على تأثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصّلدة فكيف بحال الإنسان الضّعيف المقصود بالتكليف، فضلاً عن بيان اتساع أرض المحشر، ومهابة الموقف وعظمته، وإظهار العدل والمساواة بين الخلق.

١٢) احتوت السورة على الإنذار الشديد والوصف القوي لمصير المحسن والمسيء، والترسيخ لفكرة العدل والاستحقاق في الجزاء، والدعوة لإبعاد الخلق عن طريق الغواية والشرّ، وسلوك طريق الهداية والحق في الحياة الدنيا.

١٣) سياق السورة يؤكد أن لفظة (القارعة) هي المفردة المناسبة؛ ودليل ذلك الحالات والمشاهد التي ذكرت في سياق السورة، من تفرق الناس، وتغير الجبال بسبب الصوت والدق والاضطراب، كل ذلك من نتائج هذه القارعة، فصورت المفردة هذه المناظر المخيفة بدقة شديدة.

١٤) جاء في السورة مثال تطبيقي لتفسير القرآن بالقرآن، فالمراد بالقارعة قد فسره ما بعده، ويظهر هذا بملاحظة سياق الآيات.

١٥) هناك علاقة بين بعض ألفاظ ومعاني وآيات سورة القارعة وبين غيرها من المفردات المقاربة والمعاني والآيات المناظرة، ظهرت عند الحديث عن حال الناس عند البعث، ووصف الجبال، والميزان، والنار، مع بقاء المعنى الخاص لكل موضع، ووجود معاني دقيقة تفصل بينها.

١٦) استُعملت لفظة "قارعة" في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع مختلفة، فوردت ثلاث مرات في صدر سورة القارعة: (الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ)، ومرة في سورة الحاقة: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾، ويقصد بها القيامة وأحداثها، والموضع الثالث في سورة

الرعد: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ ويقصد بها: الداهية والمصائب وصنوف البلايا والنقم.

١٧) قوله: (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) مع نظيره (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) صفتان للخلق يوم القيامة في موطنين: إحداهما عند البعث، والأخرى عند سماع النداء. ويصح أن يكون معنى الآيتين واحد، فللناس في يوم الخروج والنشور سهم من الشبه لكلا المعنيين.

١٨) زيادة كلمة (الْمَنْفُوشِ) في آية القارعة دون نظيرتها في المعارج (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ)، لمناسبتها مع لفظة القارعة، ومعناها، وسياق السورة، وفواصلها.

١٩) الناس عند الميزان إما مؤمن ثقلت حسناته فيدخل الجنة، وإما عاص خفت حسناته فيغفر له أو يعذب بقدر معاصيه ثم يدخل الجنة، وإما كافر خلت حسناته وثقلت سيئاته فيخلد في النار، وإما من أهل الأعراف الذين يحاسبون حساباً يسيراً ثم ينالهم الله برحمته إذا شاء فيدخلهم الجنة.

٢٠) ثبت بالأدلة أن هناك ميزاناً حقيقياً يوم القيامة، يوزن به العباد وأعمالهم وصحائفهم بقدرة الله ﷻ، وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ، وأما القول بأن الميزان تمثيلي هو سائغ من جهة اللغة، لكن الأولى اتباع ما جاءت به الأسانيد الصحاح والأخذ بظواهرها من غير تأويل.

٢١) وردت كلمة (مَوَازِينُهُ) في أكثر من آية قرآنية بصيغة الجمع؛ نظراً لاختلاف الموزونات، وتجدّد الوزن، وكثرة الموزون لهم، وأنواع الموزونات من الأعمال وتعددها في ميزان واحد، أو لوجود أكثر من

ميزان، فيجوز أن يكون لكل واحد يوم القيامة ميزاناً، أو يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله.

٢٢) الحكمة من الوزن إظهار العدل الإلهي، وعدم فوات شيء من الأعمال، وامتحان الخلق والاحتجاج عليهم.

٢٣) احتوت السورة الكريمة على مجموعة من الموضوعات البلاغية البيانية والمحسنات البديعية كالتكرار، والإظهار في موضع الإضمار، والإجمال والتفصيل، والتشبيه، والتقديم والتأخير، والإيجاز والحذف، والمقابلة، والسجع وتنوع الفواصل.

ثانياً: التوصيات:

- أُوصِي الباحثين بالاهتمام بكتاب الله ﷻ، ففيه منهج لا بد أن يُفهم ويُتبع، ومما يُعين على ذلك الاهتمام باستخراج الهدايات والفوائد واللطائف القرآنية والتفسيرية.
- أُوصِي الباحثين بالعناية بدراسة السور القرآنية، ومن السور التي يمكن دراستها: سور قصار المفصل من سورة الضحى إلى سورة الناس، وذلك عن طريق البحث في السورة ودلالاتها اللغوية والسياقية والإشارية والبلاغية.

وفي الختام: هذا جهد متواضع أضعه بين يدي القارئ والناقد، وأطلب إسداء النصح والتوجيه لي، وأسأل الله التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: التفسير وعلوم القرآن:

١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لمحمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبي السعود (ت: ٩٨٢هـ) – ن: دار إحياء التراث العربي/ بيروت – ج: ٩.

٢) أسرار التكرار في القرآن، المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، برهان الدين، أبي القاسم (ت: ٥٠٥هـ) – م: عبد القادر أحمد عطا – ن: دار الفضيلة – ج: ١.

٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) – ن: دار الفكر/ بيروت – ط: ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م – ج: ٩.

٤) إعراب القرآن لإسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبي القاسم، الملقب: بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ) – م: فائزة عمر المؤيد – ن: مكتبة الملك فهد الوطنية/ الرياض – ط: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م – ج: ١.

٥) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ) – ن: دار الإرشاد للشئون الجامعية/ حمص – ط: الرابعة ١٤١٥هـ – ج: ١٠.

٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ناصر الدين، أبي سعيد (ت: ٦٨٥هـ) – م: محمد عبد الرحمن المرعشلي – ن: دار إحياء التراث العربي/ بيروت – ط: الأولى ١٤١٨هـ – ج: ٥.

٧) بحر العلوم لنصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبي الليث (ت: ٣٧٣هـ)–ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ج: ٣.
٨) البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) – م: صدقي محمد جميل – ن: دار الفكر/ بيروت – ط: ١٤٢٠هـ– ج: ١٠.
٩) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، أبي العباس (ت: ١٢٢٤هـ) – م: أحمد عبد الله القرشي – ن: حسن عباس زكي/ القاهرة – ط: ١٤١٩هـ – ج: ٧.
١٠) البرهان في تناسب سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبي جعفر (ت ٧٠٨هـ) – م: محمد شعباني – ن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ المغرب – ط: ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م – ج: ١.
١١) البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، بدر الدين، أبي عبد الله (ت: ٧٩٤هـ) – م: محمد أبو الفضل إبراهيم – ط: الأولى ١٩٥٧م – ن: دار إحياء الكتب العربية/ بيروت – ج: ٤.
١٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، أبي طاهر (ت: ٨١٧هـ) – م: محمد علي النجار – ن: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/ القاهرة – ط: ١٩٩٦م – ج: ٦.
١٣) البيان في عد آي القرآن لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني، أبي عمرو (ت ٤٤٤هـ) – م: غانم قدوري الحمد –

ن: مركز المخطوطات والتراث/ الكويت ط: الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م – ج: ١.

١٤) التأويلات النجمية لأحمد بن عمر بن محمد نجم الدين (ت ٦١٨هـ) – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ج: ٦.

١٥) تأويلات أهل السنة لمحمد بن محمد بن محمود الماتريدي، أبي منصور (ت: ٣٣٣هـ) – م: مجدي باسلوم – ن: دار الكتب

١٦) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) – ن: الدار التونسية للنشر/ تونس– ط: ١٩٨٤هـ – ج: ٣٠.

١٧) تفسير ابن عرفة لمحمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبي عبد الله (ت: ٨٠٣هـ) – م: جلال الأسيوطي – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى، ٢٠٠٨م – ج: ٤.

١٨) تفسير أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ) – ن: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده/ مصر – ط: الأولى ١٩٤٦م – ج: ٣٠.

١٩) التفسير البسيط لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، أبي الحسن (ت: ٤٦٨هـ) – م: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة – ن: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض – ط: الأولى ١٤٣٠هـ – ج: ٢٥.

٢٠) تفسير التستري لسهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، أبي محمد (ت: ٢٨٣هـ) – جمعه: أبو بكر محمد البلدي – م: محمد باسل عيون السود – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى ١٤٢٣هـ – ج: ١.

٢١) التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة (ت: ١٤٠٤هـ) – ن: دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة – ط: ١٣٨٣هـ – ج: ١٠.

٢٢) تفسير القرآن العزيز لمحمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري، أبي عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنِين (ت: ٣٩٩هـ) – م: حسين بن عكاشة، ومحمد الكنز – ن: الفاروق الحديثة/ القاهرة – ط: الأولى ٢٠٠٢م – ج: ٥.

٢٣) تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، أبي الفداء (ت: ٧٧٤هـ) – م: سامي بن محمد سلامة – ن: دار طيبة للنشر والتوزيع – ط: الثانية ١٩٩٩م – ج: ٨.

٢٤) تفسير القرآن الكريم لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) – م: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان – ن: دار ومكتبة الهلال/ بيروت – ط: الأولى ١٤١٠هـ – ج: ١.

٢٥) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه لمحمد علي طه الدرة – ط: الأولى، ٢٠٠٩م – ن: دار ابن كثير/ دمشق – ج: ١٠.

٢٦) التفسير الكبير "تفسير القرآن العظيم" لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) – م: هشام بن عبد الكريم البدراني – ن: دار الكتاب الثقافي الأردن – ط: الأولى، ٢٠٠٨م – ج: ٦.

٢٧) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لمحمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب: بفخر الدين (ت: ٦٠٦هـ) – ن: دار إحياء التراث العربي/ بيروت – ط: الثالثة ١٤٢٠هـ – ج: ٣٢.

٢٨) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي – ن: دار الفكر المعاصر/ دمشق – ط: الثانية، ١٤١٨هـ – ج: ٣٠.

٢٩) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي (ت: ١٤٣١هـ) – ن: دار نهضة مصر/ القاهرة – ط: الأولى – ج: ١٥.

٣٠) تفسير مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ) – م: عبد الله محمود شحاته – ن: دار إحياء التراث/ بيروت – ط: الأولى ١٤٢٣هـ – ج: ٥.

٣١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، أبي جعفر (ت: ٣١٠هـ) – (٦/ ٩١) – م: أحمد محمد شاكر – ن: مؤسسة الرسالة/ بيروت – ط: الأولى، ٢٠٠٠م – ج: ٢٤.

٣٢) الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي، شمس الدين، أبي عبد الله (ت: ٦٧١هـ) – م: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش – ن: دار الكتب المصرية/ القاهرة – ط: الثانية، ١٩٦٤م – ج: ١٠.

٣٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم، شهاب الدين، أبي العباس، المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) – م: أحمد محمد الخراط – ن: دار القلم/ دمشق – ج: ١١.

٣٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) – ن: دار الفكر/ بيروت – ج: ٨.

٣٥) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) – ن: مكتبة ابن تيمية/ القاهرة – ط: الأولى ١٩٩٦م – ج: ١.

٣٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين (ت: ١٢٧٠هـ) – م: علي عطية– ن: دار الكتب العلمية/ بيروت– ط: الأولى ١٤١٥هـ– ج: ١٦.

٣٧) زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، جمال الدين، أبي الفرج (ت: ٥٩٧هـ) – م: عبد الرزاق المهدي – ن: دار الكتاب العربي/ بيروت – ط: الأولى ١٤٢٢هـ – ج: ٤.

٣٨) الزيادة والإحسان في علوم القرآن لمحمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي، شمس الدين، المعروف بعقيلة (ت ١١٥٠ هـ) – م: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير – ن: مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات – ط: الأولى، ١٤٢٧هـ – ج: ٩.

٣٩) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ) – ن: مطبعة بولاق الأميرية/ القاهرة – ط: ١٢٨٥هـ– ج: ٤.

٤٠) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) – م: خالد السبت – ن: دار عالم الفوائد/ مكة المكرمة – ط: الثانية ١٤٢٦هـ – ج: ٥.

٤١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم، شهاب الدين، أبي العباس، المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) – م: محمد عيون السود – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م – ج: ٤.

٤٢) عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي لأحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، شهاب الدين (ت: ١٠٦٩هـ) – ن: دار صادر/ بيروت – ج: ٨.

٤٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، نظام الدين (ت: ٨٥٠هـ) – م: زكريا عميرات – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى ١٤١٦هـ – ج: ٦.

٤٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) – ن: دار ابن كثير/ دمشق، دار الكلم الطيب/ بيروت – ط: الأولى ١٤١٤هـ – ج: ٦.

٤٥) فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة لمحمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي، أبي عبد الله (ت ٢٩٤هـ) – م: غزوة بدير – ن: دار الفكر، دمشق – ط: الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م – ج: ١.

٤٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، جار الله، أبي القاسم (ت: ٥٣٨هـ) – ن: دار الكتاب العربي/ بيروت – ط: الثالثة ١٤٠٧هـ – ج: ٤.

٤٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) – م: الإمام أبي محمد بن

عاشور – ن: دار إحياء التراث العربي/ بيروت – ط: الأولى ٢٠٠٢م – ج: ١٠.

٤٨) لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، أبي الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) – م: محمد علي شاهين – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى ١٤١٥هـ – ج: ٤.

٤٩) اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني، أبي حفص (ت: ٧٧٥هـ) – م: عادل عبد الموجود، وعلي معوض – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى ١٩٩٨م – ج: ٢٠.

٥٠) لطائف الإشارات لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ) – م: إبراهيم البسيوني – ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط: الثالثة – ج: ٣.

٥١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل لفاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي – ن: دار عمار للنشر والتوزيع/ عمّان/ الأردن – ط: الثالثة٢٠٠٣م – ج: ١.

٥٢) المبسوط في القراءات العشر لأحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبي بكر (ت: ٣٨١هـ) – م: سبيع حمزة حاكيمي – ن: مجمع اللغة العربية/ دمشق – ط: ١٩٨١ م – ج: ١.

٥٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، أبي محمد (ت: ٥٤٢هـ)– م: عبد السلام محمد– ن: دار الكتب العلمية/ بيروت– ط: الأولى ١٤٢٢هـ – ج: ٦.

٥٤) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) – ن: مكتبة المعارف/ الرياض – ط: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م – ج: ٣.

٥٥) معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أبي إسحاق (ت: ٣١١هـ) – م: عبد الجليل عبده شلبي– ن: عالم الكتب/ بيروت– ط: الأولى ١٩٨٨م– ج: ٥.

٥٦) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، أبي محمد (ت ٤٥٦هـ) – م: د. عبد الغفار سليمان البنداري – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م – ج: ١.

٥٧) الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري، أبي القاسم (ت: ٤١٠هـ) – م: زهير الشاويش، ومحمد كنعان – ن: المكتب الإسلامي/ بيروت – ط: الأولى ١٤٠٤هـ – ج: ١.

٥٨) النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري، شمس الدين، أبي الخير، المشهور بابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) – م: علي محمد الضباع – ن: دار الكتاب العلمية/ بيروت – ج: ٢.

٥٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) – ن: دار الكتاب الإسلامي/ القاهرة– ج: ٢٢.

٦٠) النُكَت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) لعلي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي، أبي الحسن (ت: ٤٧٩هـ) –

م: عبد الله الطويل – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م – ج: ١.

٦١) النكت والعيون لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، أبي الحسن (ت: ٤٥٠هـ) – م: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ج: ٦.

٦٢) نواسخ القرآن لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، جمال الدين، أبي الفرج (ت: ٥٩٧هـ) – م: أبو عبد الله بن منير آل زهوي – ن: شركه أبناء شريف الأنصاري/ بيروت – ط: الأولى ٢٠٠١م – ج: ١.

٦٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لمكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد القيسي، أبي محمد (ت: ٤٣٧هـ) – م: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا/ جامعة الشارقة – ن: مجموعة بحوث الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ جامعة الشارقة – ط: الأولى ٢٠٠٨م – ج: ١٣.

٦٤) الواضح في علوم القرآن لمصطفى ديب البغا، ومحيى الدين ديب مستو – ن: دار الكلم الطيب / دار العلوم الإنسانية/ دمشق – ط: الثانية، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨م – ج: ١.

ثالثا: الحديث النبوي الشريف وعلومه:

٦٥) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، أبي عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) – م: محمد زهير – ن: دار طوق النجاة – ط: الأولى ١٤٢٢هـ – ج: ٩.

٦٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، أبي نعيم (ت: ٤٣٠هـ) – ن: دار السعادة/ مصر – ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م – ج: ١٠.

٦٧) رياض الصالحين لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي، أبي زكريا (ت ٦٧٦هـ) – م: شعيب الأرنؤوط – ن: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان – ط: الثالثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م – ج: ١.

٦٨) الزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المرْوزي، أبي عبد الرحمن (ت: ١٨١هـ) – م: حبيب الرحمن الأعظمي – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ج: ١.

٦٩) سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السِّجِسْتاني، أبي داود (ت: ٢٧٥هـ) – م: شعَيب الأرنؤوط – ن: دار الرسالة العالمية – ط: الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م – ج: ٧.

٧٠) سنن الترمذي (الجامع الكبير) لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبي عيسى (ت: ٢٧٩هـ) – م: أحمد شاكر، ومحمد عبد الباقي، وإبراهيم عوض – ن: مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ مصر – ط: الثانية ١٩٧٥م – ج: ٥.

٧١) السنن الكبرى لأحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، أبي عبد الرحمن (ت: ٣٠٣هـ) – م: حسن عبد المنعم شلبي – ن: مؤسسة الرسالة/ بيروت – ط: الأولى ٢٠٠١م – ج: ١٢.

٧٢) سنن محمد بن يزيد – ماجة – القزويني، أبو عبد الله (ت: ٢٧٣هـ)– م: شعيب الأرنؤوط – ن: دار الرسالة العالمية – ط: الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م – ج: ٥.

٧٣) السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبي محمد، جمال الدين (ت ٢١٣ هـ) – م: طه عبد الرءوف سعد – ن: شركة الطباعة الفنية المتحدة – ج: ٢.

٧٤) الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي لمحمد (عبد الرؤوف) بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي (ت: ١٠٣١هـ) – م: أحمد مجتبى – ن: دار العاصمة/ الرياض – ج: ٣.

٧٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، نور الدين، أبي الحسن (ت: ٨٠٧هـ) – م: حسام الدين القدسي – ن: مكتبة القدسي/ القاهرة – ط: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م – ج: ١٠.

٧٦) مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، أبي يعلى (ت: ٣٠٧هـ) – م: حسين سليم أسد – ن: دار المأمون للتراث/ دمشق – ط: الأولى ١٩٨٤م – ج: ١٣.

٧٧) مسند الإمام أحمد، لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبي عبد الله (ت: ٢٤١هـ) – م: شعيب الأرنؤوط وآخرون – ن: مؤسسة الرسالة/ بيروت – ط: الأولى ٢٠٠١م – ج: ٤٥.

٧٨) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، أبي الحسن (ت: ٢٦١هـ) – م: محمد فؤاد عبد الباقي – ن: دار إحياء التراث العربي/ بيروت – ج: ٥.

٧٩) المصنف لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، أبي بكر (ت ٢٣٥ هـ) – م: سعد بن ناصر الشثري – ن: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض – ط: الأولى، ١٤٣٦هـ – ج: ٢٥.

٨٠) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني أبي الفضل (ت ٨٥٢هـ) – م: مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية – ن: دار العاصمة / دار الغيث للنشر والتوزيع – ط: الأولى ٢٠٠٠م – ج: ١٩.

رابعا: اللغة، والمعاجم، والبلاغة:

٨١) البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع لحسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجي (ت ١٤٢٩ هـ) – ن: المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة – ط: سنة ٢٠٠٦ م – ج: ١.

٨٢) البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ) – ن: دار القلم/ دمشق، الدار الشامية/ بيروت – ط: الأولى ١٩٩٦م – ج: ٢.

٨٣) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، أبي الفيض (ت: ١٢٠٥هـ) – ن: مطبعة حكومة الكويت – ط: ١٩٧٢م – ج: ٤٠.

٨٤) تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبي منصور (ت: ٣٧٠هـ) – م: محمد عوض مرعب – ن: دار إحياء التراث العربي/ بيروت – ط: الأولى ٢٠٠١م – ج: ٨.

٨٥) جمهرة الأمثال للحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبي هلال (ت: ٣٩٥هـ) – ن: دار الفكر/ بيروت – ج: ٢.

٨٦) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ) – م: عبد السلام هارون – ن: مكتبة الخانجي/ القاهرة – ط: الرابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م – ج: ١٣.

٨٧) شرح المفصل ليعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن علي الأسدي الموصلي، أبي البقاء (ت: ٦٤٣هـ) – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى ٢٠٠١م – ج: ٦.

٨٨) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: ٧٤٥هـ) – ن: المكتبة العنصرية/ بيروت – ط: الأولى ١٤٢٣هـ – ج: ٣.

٨٩) علم البيان لعبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ) – ن: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – ط: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٢م – ج: ١.

٩٠) العين للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، أبي عبد الرحمن (ت: ١٧٠هـ) – م: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي – ن: دار ومكتبة الهلال – ج: ٨.

٩١) الغريبين في القرآن والحديث لأحمد بن محمد الهروي، أبي عبيد (ت ٤٠١ هـ) – م: أحمد فريد المزيدي – ن: مكتبة نزار مصطفى الباز / السعودية – ط: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩ م – ج: ٦.

٩٢) الكليات لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي، أبي البقاء (ت: ١٠٩٤هـ) – م: عدنان درويش، ومحمد المصري – ن: مؤسسة الرسالة/ بيروت– ج: ١.

٩٣) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على الأنصاري، جمال الدين بن منظور، أبي الفضل (ت: ٧١١هـ) – ن: دار صادر/ بيروت– ط: الثالثة ١٤١٤هـ– ج: ١٥.

٩٤) المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي، أبي الحسن (ت: ٤٥٨هـ) – م: عبد الحميد هنداوي – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م – ج: ١١.

٩٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) لمحمد حسن حسن جبل (ت: ٢٠١٥م) – ن: مكتبة الآداب/ القاهرة – ط: الأولى، ٢٠١٠م. – ج: ٤.

٩٦) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبي الحسين (ت ٣٩٥هـ) – م: عبد السلام محمد هارون– ن: دار الفكر– ط: ١٩٧٩م– ج ٦.

خامساً: الرقائق والآداب:

٩٧) إحياء علوم الدين لمحمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبي حامد (ت: ٥٠٥هـ) – ن: دار المعرفة/ بيروت – ج: ٤.

٩٨) التبصرة لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، جمال الدين، أبي الفرج (ت: ٥٩٧هـ) – ن: دار الكتب العلمية، بيروت – ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م – ج: ١.

٩٩) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، أبي عبد الله (ت ٦٧١هـ) – م: الصادق بن محمد بن إبراهيم – ن: مكتبة دار المنهاج، الرياض – ط: الأولى، ١٤٢٥هـ – ج: ١.

١٠٠) التوهم في وصف أحوال الآخرة للحارث بن أسد المحاسبي، أبي عبد الله (ت ٢٤٣هـ) – م: مصطفى بن علي جعفر – ن: مكتبة التراث الإسلامي، حلب – ج: ١.

١٠١) الزهد لوكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الرؤاسي، أبي سفيان (ت ١٩٧هـ) – م: عبد الرحمن عبد الجبار – ن: مكتبة الدار، المدينة المنورة – ط: الأولى، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م – ج: ١.

١٠٢) الغنية لطالبي طريق الحق ﷻ لعبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبي محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي (ت ٥٦١ هـ) – م: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة – ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م – ج: ٢.

١٠٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، أبي طالب المكي (ت ٣٨٦ هـ) – م: د. عاصم إبراهيم الكيالي – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الثانية، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م– ج: ٢.

سادساً: مصادر أخرى:

١٠٤) تاريخ دمشق لعلي بن الحسن بن هبة الله، أبي القاسم، المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) – م: عمرو بن غرامة العمروي – ن: دار الفكر للطباعة – ط: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م – ج: ٨٠.

١٠٥) تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل لعقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعي الأندلسي الطرطوشي، ثم المراكشي، أبي طالب وأبي المجد (ت ٦٠٨هـ) – م: مصطفى باحو – ن: دار الإمام مالك، أبو ظبي – ط: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م – ج: ٢.

١٠٦) سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، شمس الدين، أبي عبد الله (ت: ٧٤٨هـ) – م: مجموعة من

المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – ن: مؤسسة الرسالة– ط: الثالثة ١٩٨٥م – ج: ٢٥.

١٠٧) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي، أبي عبد الله (ت: ٢٣٠هـ) – م: محمد عبد القادر عطا – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى١٩٩٠م – ج: ٨.

١٠٨) المنهاج في شعب الإيمان للحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبي عبد الله الحليمي (ت ٤٠٣ هـ) – م: حلمي فودة – ن: دار الفكر – ط: الأولى، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – ج: ٣.